



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي :

رقم التسجيل ط1: 20105078655

رقم التسجيل ط2: 1535116120

أدب الخيال العلمي

دراسة في رواية الخيال العلمي الإسكندرية 2050
لصباحي فحماوي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر LMD في الأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين :

مشطة نوال

محمدي مريم

أمام لجنة المناقشة :

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
01	إبراهيم زلافي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	رئيسا
02	محمد بن صالح	أستاذ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
03	عمر عليوي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2020-2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

مقدمة :

الحمد لله الذي علم بالقلم ، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم ، وعلى صحابته الأبرار مصابيح الهدى ، وعلى آله الأطهار نجوم المعرفة وأولي الحكمة والنهى وبعد ...

شهد الخيال العلمي طفرة نوعية في القرن التاسع، إذ بدأت الإلكترونيات الدقيقة في الظهور، كالتتابع الكهربائي عام 1835م ، وظهور أول مصباح كهربائي عام 1878 م ، لقد كانت حقبة من الاكتشافات والاختراعات العلمية المتسارعة بسرعة ، بدأت الرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والكهرباء في القفز إلى المقدمة ، ممهدة الطريق للثورة الصناعية والتي جلبت معها مختلف الوسائل والاكتشافات العلمية والتقنية والتي نشرت أذرعها الطويلة على نطاق واسع كالإنترنت ووسائل النقل الحديثة والهواتف وحتى الأسلحة ، وامتدت في مختلف الدول المجاورة لتعمم على العالم ككل بعد ذلك ، تاركة أثرها البالغ على مختلف نواحي الحياة المختلفة ، فغيرت في كثير منها وأضافت أشياء جديدة وأنقصت أشياء أخرى ، وفتحت آفاقا قلما تخيلها الإنسان من قبل ، وذلك بفضل الاكتشافات العلمية والتكنولوجية التي كانت مجرد خيال في وقت سابق ، هاته المتغيرات الحاصلة انعكست بدورها على مختلف المجالات الفكرية والأدبية ، (ونشير هنا الى أن تأثر المجال الأدبي بهاته العوامل جاء بطبيعة فطرية فالكاتب المبدع يتأثر تأثرا مباشرا بما يحيط به من بيئته وهذا التأثير ينعكس جليا في أعماله الإبداعية) .

نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تعبر فاتحة لظهور لون أدبي جديد شكل مصدرا إبداعيا في الساحة الفنية والأدبية ، وذلك بعد ظهور نصوص إبداعية امتزج فيها الفن بالخيال والعلم والتقنية ليصطلح على هاته الأعمال الإبداعية ما يعرف باسم "أدب الخيال العلمي"، وقد برز هذا الفرع نتيجة لتصالح قائم بين العلم والأدب بعدما كانا بمثابة خطان متوازيان لا يلتقيان ، ولعل العامل الأساسي في تصالحهما هو الخيال الذي يعتبر عنصرا أساسيا في الأجناس الأدبية ككل ، كما يلعب دورا رئيسيا في مضمار العلم والاختراع ، إذ ان معظم الكشوفات والاختراعات التقنية تمظهرت لأصحابها عن طريق

الخيال قبل أن تتخذ سبيلا للتنظير والتجسيد على أرض الواقع ، ليصبح بذلك عنصرا مشتركا بين الفرعين.

وتعتمد كتابات الخيال العلمي بشكل رئيسي على عنصر الخيال حيث يخلق المؤلف عالما جديدا بدءا من معطيات الواقع مستعينا في ذلك بتقنيات أدبية ونظريات علمية فتظهر روائع أدبية لا تقل أهمية عن مثيلاتها من الفنون الأدبية الأخرى ، في قوالب متنوعة تلغي التباين بين الجدية العلمية والجمالية الأدبية ، وبدون الاستعانة بالقوى السحرية التي نجدها في بعض الكتابات الأدبية المختلفة ، ومثل العديد من الأنواع الأدبية فإن الخيال العلمي معروف أيضا بتنوعه أساليبه ومواضيعه وخصائصه الكتابية ، ولعل أبرز ما يميزه هو اللغة التي المستحدثة والمبتكرة والممتزجة بالمصطلحات العلمية الدقيقة في مجالات متعددة والتي تسمح لكل كاتب أن يفعل قدراته الفنية الخيالية على الخلق والإبداع.

يندرج بحثنا هذا تحت عنوان :

((أدب الخيال العلمي دراسة في رواية الإسكندرية 2050))

وتتجلى أهمية العنوان في شموليته لجل عناصر البحث ، من مفاهيم نظرية حول مصطلح الخيال العلمي وصولا الى تعريف أدب الخيال العلمي في تركيبه ، ثم توضيح الأثر الفني في أدب الخيال العلمي بين العالم العربي والغربي بالاعتماد على نماذج روائية لمجموعة من عمالقة كتاب الخيال العلمي العربي والغربي.

وقد قمنا بتوضيح هاته الأشياء وغيرها عبر مناقشة الإشكالية الرئيسة التالية : هل استطاعت الرواية العربية أن تثبت هويتها المتجذرة في هذا الفرع الأدبي بالمقارنة مع الرواية الغربية ؟ ويتدرج البحث في مناقشة العديد من الأسئلة الجزئية المرتبطة أساسا بالإشكالية الرئيسية ومن بينها نذكر : ما مفهوم مصطلح الخيال العلمي وما مدى ارتباطه بالساحة الأدبية ؟ وهل هو امتداد لأشكال سابقة أم هو جنس مستقل عن كل ماسبقه ؟ وما الأثر الجمالي الذي يجعل من هذا الفرع مختلفا عن الأشكال الكتابية الأخرى ؟ وما أهم الخصائص الفنية التي تبني عليها الكتابات السردية للخيال العلمي ؟ وهل استطاعت البيئة العربية أن تفعل قريحة

الكتاب والمبدعين للخوض في تجارب الكتابة في هذا المجال؟ وما أهم المواضيع التي التي
إنبثقت عن هذا الفرع؟

إن تحليل الاشكالية المطروحة كان من أهم الأسباب والدوافع التي حفزتنا على اختيار
هذا الموضوع ، علاوة على مجموعة من الدوافع الأخرى وسنذكر منها : الرغبة الشديدة في
التطلع الي المكون السردى في كتابات الخيال العلمى ، إضافة إلى محدودية الدراسة في
مجال أدب الخيال العلمى عربيا بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة ، وسبب ذاتي يرجع
إلى هوايتنا في مطالعة النصوص السردية من روايات وقصص ومسرحيات مطالعة ناقدة ،
نتفحص عبرها مكنونات النص الداخلية ، وتراكيبه وأشكاله الخارجية ، لأن النص السردى
في نظرنا عمل أدبي فني كتب لينتقد ، وسبب آخر يتمثل في الميل إلى الكتابات التي تنتمي
الى عوالم مزجت بين العلم بالأدب فأضحت روائع أدبية لا مثيل لها ، ومن بينها رواية
الإسكندرية 2050 والتي سنقوم بدراستها في هذا البحث ، وما شجعنا على اختيارها أيضا
هو عدم وجود دراسات مستقلة سابقة وشاملة تناولت الخصائص الفنية والجمالية في هاته
الرواية التي تنتمي الي مجال أدب الخيال العلمى .

إنّ الغوس في مجال أدب الخيال العلمى يستلزم الإطلاع على مجموعة من الدراسات
النظرية التي سبقت الى هذا الموضوع ، والتي سرعان ما تحولت الى مراجع يستعان بها في
العديد من الأبواب المرتبطة بهذا الجنس الأدبي ، وذلك لاحتوائها على رصيد وفير من
المعلومات المتنوعة ، ومن بين الأعمال المهمة التي استعنا بها نذكر: كتاب **محمد عزام :**
الخيال العلمى في الأدب ، وهو كتاب نظري اشتمل على ستة مواضيع رئيسية حول ادب
الخيال العلمى في التراث العربى وأهم المواضيع والقضايا المتعلقة بهذا الفرع ، ويعتبر هذا
الكتاب مرجعا مهما لإحتوائه على رصيد معرفي كبير فيما يخص هذا المجال ، ونجد أيضا
كتاب **نهاد شريف المعنون ب الدور الحيوى لأدب الخيال العلمى** يتكون الكتاب من ثلاثة
فصول تعنى بهذا الجنس الأدبي وتحمل نظرة عامة حوله .

من المراجع الأجنبية المترجمة أيضا نجد ، كتاب جان غاتيبو: أدب الخيال العلمي وهو كتاب يحتوي على رصيد معرفي كبير فيما يخص هذا الموضوع ، يحتوي الكتاب على ثلاثة أقسام وكل قسم خصص لجانب معين ، القسم الأول جاء على شكل تأريخ لهذا الفرع الأدبي أما القسم الثاني فعالج فيه الكاتب مواضيع أدب الخيال العلمي والقسم الثالث الذي عده بمثابة خاتمة فاشتمل على موضوع الخيال العلمي بين العلمية والأدبية ، من المراجع الأجنبية المعتمدة نجد أيضا كتاب إم كيث بروكر : المرجع في روايات الخيال العلمي ، يتناول الكتاب أهم المواضيع والقضايا المرتبطة بالخيال العلمي في الأدب والسينما ، ونجد كذلك كتاب جون جريس : ثلاث رؤى للمستقبل (أدب الخيال العلمي الأمريكي والبريطاني والروسي " السوفييتي") ، يحتوي الكتاب على عرض لمجموعة من الأعمال الإبداعية وتحليلها من زاوية نقدية في كل من البلدان الثلاثة المذكورة في متن العنوان .

إن الرصيد المعرفي لهاته الكتب المذكورة وغيرها من المراجع التي لم تذكر ، ساعدتنا كثيرا في معالجة هذا الموضوع والأحاطة به من بعض الجوانب وليس كلها وهذا لاتساع الدراسات والمواضيع التحليلية المرتبطة بهذا الفرع الأدبي ، وعن الخطة التي اتبعناها في البحث فكانت كالتالي : (مقدمة ، ومدخل ، فصلين ، وخاتمة) .

المدخل قمنا فيه بتعريف الخيال العلمي في شموليته وكذلك وضعنا تعريفا مختصرا للفرعين اللذين انبثقا عن هذا الأخير ، والفصل الأول فقمنا فيه بعرض مجموعة من المفاهيم المرتبطة بهذا الفرع لدى مجموعة من الباحثين والنقاد ، وعرجنا بعدها للإرهاصات أو المنطلقات الأولى التي يعود اليها هذا الجنس الأدبي وذلك بين العالم العربي والعالم الغربي وفي نهاية الفصل قدمنا أهم المواضيع التي إنبثقت عن الخيال العلمي الأدبي وأهم الخصائص الفنية والجمالية التي تتميز بها هاته الكتابات عن غيرها .

أما الفصل الثاني فيتضمن دراسة تطبيقية في أهم الخصائص الفنية والجمالية المكونة لرواية الخيال العلمي في رواية الإسكندرية 2050 لصبحي فحماوي ، وتجلت هاته الدراسة في ثلاثة مضامين المضمون الأول جاء تحت عنوان تجليات الزمن في رواية الخيال

العلمي، أما الثاني فتضمن دراسة لمظاهر المكان في الرواية المدروسة ، وأخيرا حاولنا تحليل البنية الشخصية في الرواية باعتبارها المكون الرئيسي في بناء أي عمل سردي ، وتجدر الإشارة هنا أننا قمنا بوضع مقارنة بسيطة لمفهوم المصطلح في بداية كل موضوع . وفي الأخير أدرجنا خاتمة تحل خلاصة العمل ، حاولنا من خلالها الإجابة عن الإشكالية المطروحة .

وطبيعة هاته الدراسات اقتضت أن نتخذ من المنهج البنيوي طريقا لدراسة رواية الخيال العلمي، أما نظريا فكان المنهج تاريخيا وذلك في تتبع ظهور و بدايات هذا الفرع في العالم الغربي والعربي، ونشير هنا الى أننا قد أفدنا كثيرا من آلية الوصف التحليلي في طريقة عرضنا لهذا الموضوع ككل .

وفيما يتعلق بالصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجاز هذا العمل فتكمن في صعوبة الحصول على المادة العلمية خاصة في الظروف التي شهدها العالم ككل مؤخرا ، وهذا ما استدعى البحث عنها في مواقع التواصل الإجتماعي من موقع إلى آخر وحصولها كان عبارة عن أجزاء مصورة فقط ، اضافة الى طبيعة الموضوع التي تستلزم بحثا عميقا وهنا وجدنا أمامنا كما هائلا من المواضيع المتشعبة مع الفروع الأخرى وهذا ماشكل صعوبة في الموضوع ، أي في طريقة تمييز المواضيع التي تنتمي الى هذا الفرع عن غيرها من المواضيع المشابهة، إضافة الى التعريف الخاص لهذا النوع الأدبي والذي يشتمل على تعاريفات مختلفة ومتعددة بتعدد المواضيع التي يدرسها وهناك آراء نقدية تنفي تعاريف وتترك تعاريف أخرى في حين هناك من يرى أنها الأصح لتعريف الخيال العلمي الأدبي .

ويبقى واجب توجيه الشكر لأهله ، إلى المشرف القدير والأستاذ الفاضل دكتور محمد بن صالح على توجيهاته ودعمنا ونقل له : كل عبارات الشكر لا يمكن أن تعبر عن مدى تقديرنا واحترامنا لك ... شكرا لك يا أستاذنا لأنك لم تبخل علينا بأي معلومة ، ولم نشعر يوما بشعورك الضيق رغم متاعب مهنتك السامية، وأخيرا نقول لكل من سيقراً بحثنا ، ها هو ذا عملنا بين أيديكم فإن وجدتم فيه خيرا فخذوه ، وإن وجدتم فيه خطأ فصصحوه .

المدخل: مفاهيم حول مصطلح الخيال العلمي

1_ تعريف الخيال العلمي

أ_ الخيال العلمي الصعب

ب_ الخيال العلمي اللين

1_ مفهوم الخيال العلمي :

(خيال + علم) للوهلة الأولى يبدو هناك تضارب أو تصارع بين المصطلحين لأن لكل منهما مدلول خاص، فعادة ما دلّ الخيال على الشيء الأسطوري الذي لا يمكن تحقيقه (ميتافيزيقي) ، أما العلم فهو ذلك النوع القائم على الإستقراء والتجربة للوصول إلى الحقائق (المنطق) ، غير أن هذين الفرعين تصالحا وتزاوجا فغوّ الخيال بذلك طريقه لينطلق من أسس جديدة تركز على تجربة الواقع الملموس ليطوّرها أو يتنبأ لما سيؤول إليه هذا الواقع في المستقبل البعيد ، وسمّي هذا الفرع المعرفي الجديد بالخيال العلمي ، ويطلق عليه في اللغة الانجليزية (science Fiction) أو اختصارا بـ "FS" ، وقد وضع هذا المصطلح روبرت هاينلاين عام 1941م، وهو عبارة عن خيال تكون فيه التكنولوجيا والعلم بمختلف فروعها عنصرا أساسيا ، وبذلك تعددت مجالاته وظهرت عدة فروع تصبّ في هذا القالب مسّت السينما والمسرح والفن والقصص والروايات وألعاب الفيديو وغيرها، ولما كان هذا التعدد فقد وجد الباحثون نتيجه صعبة في وضع تعريف محدد ، " وقد لخص الكاتب والمحرّر ديمون نايت هذه الصعوبة بقوله: (إنّ الخيال العلمي هو ما نهدف إليه ونفكر فيه عندما نذكر هذا المصطلح) ،وفقا لرأي مؤلف قصص الخيال العلمي روبرت هينلين فإنّه قد يتمثّل التعريف المختصر المناسب للخيال العلمي فيما يلي: تصوّر واقعي لأحداث مستقبلية محتملة الحدوث على نحو يركز بقوة على المعرفة الكافية بالواقع الحالي والماضي والحاضر والإمام التّأم بالطبيعة وأهمية الأسلوب العلمي) ، ويأتي تعريف الكاتب رود سيرلينج على النحو التّالي: الفنتازيا هي تحويل المستحيل إلى شيء محتمل حدوثه، أما الخيال العلمي فهو تحويل ما هو غير محتمل حدوثه إلى شيء ممكن حدوثه ، وقد كتب ليستر ديل راي حول هذا الموضوع قائلا: حتّى الشخص المعجب أشدّ الإعجاب بالخيال العلمي كجنس أدبي، يلاقي عناءا شديدا في محاولة إيجاد تعريف له، ويرجع السبب في عدم وجود تعريف مرضٍ شامل إلى عدم وجود حدود واضحة دقيقة لما يمكن أن يصف خيال

علمي"¹ ، ويعرفه " روبرت هينلين نوع من التكهن الواقعي بشأن الأحداث الممكنة في المستقبل "²، فالخيال العلمي ينطلق من الواقع إلى حدود قد لا تكون منتهية قد يتحقق بعض منها، وقد لا يتحقق البعض الآخر، وهو نتيجة لبلورة هياكل متسقة بشكل معقول منفصلة بشكل ما عن العالم العادي والمألوف زمانيا ومكانيا، فيصل بنا إلى عوالم مجهولة قد تتحقق في يوم ما متّخذا من التكنولوجيا والعلم منطلقا له، وعلى هذا أصبح العلم يهتم بالخيال ويجعله أكثر مصداقية ، أي في معادلة ما هو اليوم خيال مبنيا على العلم والتكنولوجيا قد يصبح غدا حقيقة، لذا فإنّ الخيال العلمي هو نموذج لتجاوز الحدود التقليدية يساعد على إنشاء أفكار و آفاق جديدة نحو عالم أفضل.

أي هو فن ما يمكن اكتشافه والذي لا يزال ضمن عوالم لا نتصورها نتيجة الانطلاق من مشكلات الواقع وتطويعها ليصبح لدى كُتّاب ومؤلفي الخيال العلمي نظرة لما ستؤول إليه في المستقبل، والخيال العلمي يختلف كلّ الاختلاف عن الخيال، فغالبا ما تحتوي حكايات الخيال على أشياء سحرية، وأشياء غير موجودة ولا تتركز في الأساس من منطلقات علمية وذلك ما يُعرف بالأسطورة أو الخرافة ، وهنا ظهرت نقطة اختلاف بين الكُتّاب والنقاد على حد سواء حول الخصائص المحددة للفرعين، ويوجد عنصر واحد قد يلخص مجموعة الخصائص المحددة للنوعين، ويمكن اختصاره فيما يلي: أنّ قصص الخيال العلمي عادة ما يكون زمنها في المستقبل، أما القصص الخيالية فهي غالبا ما تحدث في الماضي في عوالم مختلفة يمكن اعتبارها حضارة أصغر من حضارتنا، فالخيال والخيال العلمي هما مصطلحين مختلفين ويجب التفريق بينهما ، فالخيال العلمي عادة ما يدور حول ما قد يكون، أما الخيال فموضوعاته على الغالب حول ما لا يمكن أن يكون، وبذلك فإنّ الخيال العلمي: " هو نفاذ إلى عالم جديد وتمديد الواقع إلى حيث لا حدود... هو حدس مسبق تراجمي وعودة لعلوم زرعها الخالق قديما في اللاشعور لدينا، والتركيز الفكري ما هو إلا وسيلة لتعزيز موهبة ممارسة

¹ - الخيال العلمي نقلا عن ويكيبيديا الانجليزية ، أطلع عليه ب: 2020/04/11، خيال علمي m.marefa.org .

² - لمياء عيطو، سرد الخيال العلمي لدى فيصل الأحمر دراسة نقدية ، دار الأوطان للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص 43.

التخيل ، وبالتّالي الخيال العلمي ما هو إلّا تغذية راجعة يجري فيها تنشيط وبعث لطيف مبسط لعلوم غرسها الله فينا قديما وأنّه آن الأوان لأن نقوّي ونشجّع التعامل بتلك القدرات لكي تكشف أسراراً مستقبلية مخبّأة في نفوسنا ، والحقيقة أنّ ظاهرة الخيال العلمي هي ظاهرة معروفة ومألوفة لدى الإنسان منذ ظهور الكون¹ ، فتفكير الإنسان البدائي في طريقة إشعال النيران هو خيال علمي وفطرة من الله تعالى فهو ليس شيئاً غريباً إنّما هو أساس التفكير الذي يوضح للناس حقيقة الخلق، ومن الأشياء الأولى التي ركّزت على حقيقة التأمّل وتفعيل الفكر في هذا الكون لتوليد مجالات مختلفة للخيال العلمي هي الحضارات القديمة في الكوميديا الإلهية والصعود إلى السماء، والقرآن الكريم الذي وردت فيه أشياء عظيمة اكتشفها العلم حديثاً ، إضافة إلى بعض الفلاسفة والعلماء أمثال انشتاين ، والذي لم يكن مخطئاً عندما وضع نظريته حول بعض الحقائق العلمية المتمثلة في قوّة الجاذبية الهائلة للثقوب السوداء ومدة المسافة الضوئية للكواكب ، لتوكّد وكالة ناسا حديثاً ما توصّل إليه هذا العالم بحيث رصدت بعض الأقمار الصناعية صوراً للثقوب السوداء العملاقة ولو عدنا إلى عصره لوجدنا أنّ أغلبية المثقفين في وقت أنشتاين كانوا ينظرون إلى هذه النظرية على أنّها جنون ليس له من الحقيقة شيء ، "وإذا كانت الثقافة العلمية هي المعرفة التي يحتاجها الإنسان لكي يفهم العالم من حوله، فهي إذن خليط من الحقائق والمفردات والأفكار والمفاهيم العلمية التي يمكن للإنسان أن يتعامل معها بالطريقة نفسها التي يتعامل بها مع السياسة ، والإقتصاد، والفن، والأدب وأي شيء آخر يبلغ علمه أو يصل مسامعه ، وبهذا المفهوم يمكن للخيال العلمي أن يقدّم الثقافة العلمية بأسلوب مشوّق وفي إطار درامي أخاذ، بحيث يكون نموذجاً متقدّماً يهدف إلى تقديم العلم - خاصّة للأطفال - بشكل غير تقليدي، بعيداً عن المعادلات والقوانين الجامدة، حيث تبين قصص الخيال العلمي ذلك الجمال الحقيقي والعظمة الصادقة للعالم والكون من حولنا ، سواء كانت مجرّة تزخر بآلاف الملايين من النجوم أو

¹ - مخلص الرّيس ، الأبعاد النفسية لأدب الخيال العلمي، مجلة الخيال العلمي ، مجلة علمية ثقافية شهرية تصدر عن وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، العدد الخامس عشر، تشرين الأول 2009م، ص 27 .

نقطة ماء تكتظّ بالحياة الخفية الدقيقة، أي أنّ الخيال العلمي يعمل مترجماً للعلوم¹ ، والأهم من ذلك هو أنّ الخيال العلمي هو الفرع المعرفي الوحيد الذي يصوّر كيف يمكن للمجتمع أن يعمل بشكل مختلف ، ويمكن اعتبارها الخطوة الأولى نحو التّقدم لأنّها تسمح بتخيل المستقبل الذي نريد وتدفعنا للسعي وراء تحقّق هذا المستقبل ، كما أنّ الخيال العلمي هو فرع أساسي للطفل كما ذكرت بعض الدراسات التي ذهبت كلّها أنّ الخيال العلمي يدعم التفكير الإبتكاري لدى الأطفال ، ذلك أنّ خيال الطفل أوسع من خيال الراشدين إضافة إلى قدرة الأطفال على التحليل الابداعي والإبتكاري ،ولهذا فإنّ الدول المتقدّمة تضع أقساماً خاصّة لتعليم مادّة الخيال العلمي سعياً منها لخلق جيل مبدع مبتكر كأنّها وجدت في الخيال العلمي وسيلة محفّزة للأطفال على اكتساب العلم بطريقة بعيدة من التقنيات التقليدية ،وقد عرفه ديفيد سيد في كتابه (مقّمة قصيرة جداً في الخيال العلمي) بأنّه: " مجال صعب التعريف ، فقد فسّر على وجوه مختلفة تارة باعتباره مزيجاً من الرومانسية والعلم والتنبؤ (هوجو جيرنسباك)، وتارة باعتباره تخميناً واقعياً لأحداث مستقبلية (روبرت هاينلاين)، وتارة باعتباره نوعاً أدبياً يعتمد على بديل متخيل لبيئة القارئ (داركو سوفين)، وقد اعتبره البعض نوعاً من الأدب القصصي العجائبي، وسَمي أيضاً أدباً تاريخياً"² ، هنا نجد أنّ ديفيد سيد قد اختصر مجموعة من التعاريف لعدّة كتّاب ليحيط بالخيال العلمي من جميع جوانبه ، أي أنّ الخيال العلمي هو نوع من التكهّنات الواقعية حول ما يدور في المستقبل، وتستند هذه التكهّنات إلى المعرفة العلمية إضافة إلى المعرفة الكافية بالعالم الحقيقي قديماً وحاضراً، ليصل إلى ما يصطلح عليه بالتّاريخ البديل أي تاريخ المستقبل الذي سنعيشه يوماً ما، وبذلك فإنّ أغلب مبدعي الخيال العلمي ينطلقون من فرضية ماذا لو...؟. أين سنجد أنفسنا في زمن قادم ؟، ويعرف طالب عمران الخيال العلمي على أنّه: " الانتقال عبر آفاق الزّمن على أجنحة الحلم المطّعم

¹ - جون جريفس: ثلاث رؤى لمستقبل الخيال العلمي الأمريكي والبريطاني والروسي (السوفييتي)، تر: رءوف وصفي،

المجلس الأعلى للثقافة ، ط1، 2005م، ص 08 .

² - ديفيد سيد ، الخيال العلمي مقّمة قصيرة جداً، تر: نيفين عبد الرؤوف، مؤسسة هنداوي للتعلّم والثقافة، القاهرة، د. ط ،

2016م، ص7.

بالمكتسبات العلمية، وغالبا ما يطوق مؤلفوه أبواب المستقبل بتتوأتهم دون زمن محدد، فهو نظرة واسعة على العالم، يدخل فيها العلم فيمتزج بحقائقه مع خيال الكاتب لرسم تنقلك إلى المستقبل أو الماضي السحيق، فتثيرك وتذهلك، والرابطة بين العلم والخيال متماسكة ومن يكتب هذا النوع من الأدب لن ينجح دون ثقافة علمية ممتازة في بناء أحداث قصصه ورواياته¹، أي أن مبدعي الخيال العلمي في شتى مجالاته وجب أن يكونوا على دراية بمختلف المجالات العلمية والاجتماعية حتى يتسنى لهم توظيف تلك المعارف بأكثر دقة ووضوح بأسلوب شق، فتدخل أفكارهم بذلك مجال الخيال العلمي ولا تقتصر إبداعاتهم على المعرفة العلمية بشتى جوانبها فقط، بل يجب أن تتوفر لديهم دراية بالزمن الماضي وأحداثه ومسيرة العالم وتطوره هذا ما يولد لديهم نبوءة لما سوف يحدث في المستقبل، وهذا ما يفسر صدق نبوءة بعض كتّاب الخيال العلمي، " يعني هذا أننا كلما تعمقنا في دراسة الظواهر الطبيعية والنواميس الكونية، والشرائع البيولوجية، ثم جمعنا كل هذا في حصيلة علمية هائلة، ثم صغناها في معادلات ونظريات وقوانين، فإن المعادلة والقانون يأخذان بأيدينا، ويرشدانا إلى توقعات وحقائق كثيرة لا تستوعبها حواسنا، لأنها تقع فيما وراء حدودها، ثم إن هذه المعادلات والقوانين ليست من بناء أفكارنا بل هي منبثقة من النظم التي تمتد فينا وحولنا بغير حدود، لكنها لا تتجلى إلا لكل من تأمل ودرس وجمع فأوعى"²، إذا فالثقافة العلمية شرط ضروري لانتاج الخيال العلمي، وهو حقا يقوم على هذه الأسس القيمة، والتتو هنا لا نقصد به التتو بالغيبات بل هو تتو يحدث وفق قوانين علمية مدروسة مثل: تنبؤ المختصين بأحوال الطقس لأيام قادمة، ومعادلة أنشتاين على الطاقة والتي لم يستطع إثباتها في عصره، ثم ظهرت هذه الطاقة في المفاعل النووي فأثبتت صحة معادلته، " وليس هدف الخيال العلمي التنبؤ بالمستقبل فقط، إنما يتعنى ذلك ليقدم شيء أهم من ذلك بكثير فهو

¹ - خلود أحمد خضور، فاعلية برنامج حاسوبي قائم على الخيال العلمي في تنمية بعض المفاهيم العلمية لدى أطفال الرياض، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في تربية الطفل، جامعة دمشق، كلية التربية، سوريا، 2014 - 2015م، ص

² - عبد الحسن صالح، التتو العلمي ومستقبل الإنسان، عالم المعرفة، مصر، د.ط، 1978م، ص 13.

يحاول أن يصوّر المستقبل الممكن الذي ينشأ من بعض التصرفات البشرية والمشاكل التي يواجهها العالم، مثل: التضخم السكاني، الحروب الذرية والتهديدات التي تواجه البشر، ولن المستقبل هو نتاج تصرفات البشر وفق زمان ومكان وموضوع العصر المتناول، فالإنسان يصوغ الغد لخلق نوع من التنظيم الحياتي ويعطي إحساسا عاطفيا للحقائق المجردة تربط الواقع بتركيب شامل تشرح الأمور المعروفة وغير المفهومة من تصرفات الإنسان ، وتضع تصورا للكون الذي نعيش فيه¹ ، فالبرغم من أن أغلب نصوص الخيال العلمي تقدّم لنا مستقبلا زاهرا إلا أن هناك نصوصا وأفلاما تحذر من التّقدم الذي سيحدث ، متنبئة بذلك حروب كونية لا نهاية لها، وغيرها من المظاهر التي تهدّد حياة البشر، مثل رواية حرب العوالم (the war of the worlds) ، والتي يصف فيها الكاتب هجوما من المريخيين على الأرض مستخدمين في ذلك قوّة ساحقة لردع أي مقاومة بشرية، وأيضا غي الخيال العلمي بقضايا بيئية مثل مشكلة الديمغرافيا إضافة إلى ظاهرة الاحتباس الحراري، هذا وقد تنوّعت موضوعات الخيال العلمي من استباق للزّمن، إلى موضوعات النّكاء الاصطناعي المتمثّل في الروبوتات والحياة خارج الأرض، والاستنساخ، زرع الشرائح التي تمكّن الإنسان من فعل أشياء قد تبدو في زمننا خارقة، لكن هي الأخرى قد تتحقّق في زمن ما مثلما تحقّقت بعض منها في هذا العصر من أجهزة التّحكّم التي تزرع تحت اليد، إضافة إلى إمكانية العيش في الفضاء... وغيرها.

إنّ الخيال العلمي بموضوعاته المختلفة يشبه متجرا واسعا في توسّع مستمر، يمكن المبدعون من الولوج إليه في نطاقات مختلفة من تجارب الفكر مع عناصر المعرفة العلمية وإطلاعهم على التّقدم التكنولوجي، ويمكن القول بأن الخيال العلمي هو شكل من أشكال التساؤل حول مستقبل التّقدم، أما عن تشخيص نظرية الحقائق داخل الخيال العلمي فيمكن أن يلمسها الإنسان عن طريق العودة إلى الماضي، ولعلّ أبرز مثال على ذلك هو ظهور

¹ - محمد فضيل شناوة و بيداء علي حسين محمود البزركان ، جمالية نصوص الخيال العلمي المسرحية، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، المجلد 5، العدد 1، ص 370 .

الهاتف اللّقال الذي يشبه الهاتف الذي نعرفه اليوم في مسلسل ستار تريك وقد عُرض لأول مرة في سنة 1966م، وبعد عشر سنوات ظهرت الهواتف المحمولة بالفعل، إضافة إلى فيلم رحلة إلى القمر والذي عرض في سنة 1902م في وقت كانت السينما في بدايتها وبعد هذا الفيلم من أول الأعمال التي استشرفت على استكشاف الفضاء، وقد تمّ الصعود إلى الفضاء بعدها بالضبط في سنة 1969م، وأيضا فيلم ميترو بوليس الذي عرض سنة 1927م وهو من الأفلام التي تركت بصمة في عالم السينما، هذا الفيلم عرض مفهوم البشر الآليين (الروبوتات) ، بحيث عرض مشاهدا لكيفية اصطناع البشر الآليين، وبعد مدة قصيرة بدأت نماذج للبشر الآليين في الظهور، وأول نموذج عرض كان سنة 1927م.

ولعلّ أبرز ما يستدلّ به هو ما يشهده العالم اليوم من انتشار لوباء كورونا والذي تنبأ له في فيلم عُرض قبل عشر سنوات ، كانت أحداث الفيلم تجري بنفس الطريقة التي توسّع بها هذا الفيروس على أرض الواقع فعلا ، اسم الفيلم هو كونتينج ، يروي الفيلم قصة سيدة أعمال تنتقل إلى الصين لتصاب بعدوى مجهولة المصدر من فيروس غامض، ثم بدأت العدوى تنتشر لأنحاء العالم لتعلن حالة الطوارئ في العالم كله، وبعد دراسات وبحوث تظهر مقاطع داخل الفيلم بأن هذا الفيروس سببه الخفافيش، وهو نفس المشهد الذي يعيشه العالم اليوم جرّاء انتشار فيروس كوفيد 19 ، وربما يكون أفضل مثال على ذلك "هي رواية (the wells free world wells) نشرت في عام 1914م، وصف فيها ويلز نوعا جديدا من القنابل التي تغنيها التفاعلات النووية، وتوقع أنه سيتم اكتشافها في عام 1933م، وفجرت لأول مرة في عام 1956م ، إذ قرأ الفيزيائي ليو زيلارد الكتاب وسجّل براءة اختراع للفكرة، كان زيلارد مسؤولا لاحقا بشكل مباشر عن إنشاء مشروع مانهاتن، ممّا أدى إلى اسقاط قنبلتين نوويتين على اليابان في عام 1945م¹ ، وربما يرجع صدق التوقع هنا إلى أنّ مبدعي هاته الأعمال وغيرها من الأمثلة التي لم نذكرها قد ربطوا الاحتمالات والتخيلات

¹ - ينظر Helen Klus: Imagining the future; why society needs science fiction:

14/ 04/ 2020 <http://www.thestargarden.co.uk>، اطلع عليه:

بالحقائق العلمية وهذا أساس الابتكار ، فلو بحثنا في قصة نشوء أي تقنية من شأنها أن تطوّر العالم والمجتمع لوجدنا أنها سبقت بمجموعة من المقالات والأبحاث ، هذه المقالات كما ذكرنا سلفاً أنها احتمالات قبل أن تتحقّق بسبب التّقدم التكنولوجي ، فيصبح الخيال العلمي بذلك مختبراً حقيقياً للتّفكير العلمي كما يساهم في فتح مجال الإحتمالات في العقل البشري كما يعتبر عنصراً فاعلاً لفتح مجالات الإبداع والإختراع .

هذا ويقمّ الخيال العلمي منهاجاً لفهم الكون ، إذ يوفّر لنا الإطار المعرفي الذي يمكننا من استكشاف الأفكار وإجراء التجارب ، وذلك من خلال إضفاء الطابع الدّراسي لإبداعات الخيال العلمي وتزويدها بشخصيات يمكن تصديقها أو تصوّرها في الحياة الواقعية، كما يوفّر وجهات نظر بديلة حول الموضوعات المألوفة من أجل إعطاء منظورا أوضح في تلك المواضيع ، ويأتي الخيال العلمي نتيجة جهد تعاوني من مجتمع من المبدعين والمفكرين والأدباء باستخدام مجالات متعدّدة سواء كانت تقنية أو علمية أو إنسانية ، " وكي يكون الخيال العلمي فعّالاً بحق يجب أن يكون دقيقاً (subtle) خلال السبعين سنة الماضية طوّر كتّاب الخيال العلمي مجموعة أدوات عادة ما يصبح غيابها أو إعادة خلقها علامة فارقة للخيال العلمي الدّخيل (الفن القصصي الذي يكتبه كتّاب محترفون إمّا إنهم يزعمون أنّهم ابتكروا جنساً أدبياً جديداً أو ينكرون بقوة تصنيف ما يكتبون بأنّه ضمن الخيال العلمي"¹، حيث طوّرت اللغة التي دخلت مجال الخيال العلمي لتصبح دقيقة ومجازية في نفس الوقت، إضافة إلى اختصار بعض الأفكار بدلا من الوصف الدّقيق للشّيء والإكتفاء بوضع إشارة لهذا الشّيء فقط ، إضافة إلى استخدام بعض الكلمات المبتكرة الخاصّة بالمبدع فقط كأسماء الروبوتات والمركبات الفضائية وغيرها، إذ " لم يعد من الضروري على سبيل المثال بالنسبة للمؤلّفين وصف الوسيلة التي من خلالها يتمّ إطلاق السفن عبر الكواكب وخلال مسافات شاسعة، إذ تكفي إشارة بسيطة لـ(FTL) (أسرع من الضوء) لطي صفحات وصف عديدة،

¹ - دليل كمبريدج للخيال العلمي ، تر: أيمن حلمي وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013م، ص35.

مثل هذه الإشارات تعدّ سمة ممّزة للخيال العلمي¹ ، ينقسم الخيال العلمي بدوره إلى عدّة أنواع وفروع ، وبشكل عام يمكن أن نمز بين فرعين رئيسيين وهما: الخيال العلمي الصّعب (hard science fiction) ، والخيال العلمي السّهل أو النّاعم (soft science fiction).

أ_ الخيال العلمي الصّعب: (hard SF)

يتمزّ هذا الفرع من فروع الخيال العلمي بالاهتمام الواسع بأدقّ تفاصيل العلوم الكمية، وبخاصّة الفيزياء الفلكية والكيمياء إضافة إلى الميكانيك وغالبا ما تحقّق نبؤات الخيال العلمي التي تكتب في ظلّ هذا الفرع كونه يستند إلى القوانين العلمية الدّقيقة. كما يتمزّ هذا الفرع باهمال الشخصيات ،أي عدم وضع الوصف الشّامل للشخصيات كما نجده في الفروع الأخرى، إذ أنّ جّل تركيز هذا الفرع يصبّ ضمن المواد العلمية والتقنية، ويؤلي هذا النوع اهتماما واسعا بتصوير العوالم الأخرى أو الخيالية، والتي يمكن للتكنولوجيا أن تجعلها حقيقة: "على سبيل المثال، كان المؤلّف آرثر سي كلارك دقيقا في تتوّه بظهور أقمار صناعية متزامنة تستخدم في الإتّصال لكنّه أخطأ في توقّعه وجود طبقات عميقة من التراب تغطّي سطح القمر (...)" ومن أمثلة كتّاب الخيال العلمي الصّعب الآخرين المتميّزين ولاري نيفين، وروبرت سوير، وستيفن باكسر² ، وتجدر الإشارة أنّه قد يصعب فهم مؤلّفات هذا الفرع لدى الطّبعة العامّة في المجتمع .

ب _ الخيال العلمي اللين (soft SF):

يأتي هذا الفرع عكس الخيال العلمي الصّعب، أو يمكن القول أنّه نقيض للخيال العلمي الصّعب إذ تقوم أعمال ومؤلّفات هذا الفرع على العلوم الاجتماعية مثل: الاقتصاد، وعلم الفس، والعلوم السياسية، إضافة إلى علم الإجتماع والأنثروبولوجيا . ويتعد كلّ البعد عن

¹ - دليل كمبريدج للخيال العلمي ، ص 39 .

² - الخيال علمي نقلا عن ويكيبيديا الإنكليزية ، أطلع عليه: 2020/05/09 ، m.marefa.org

العلوم الدينية، وبالتالي فإنّ هذا النمط يقوم بمعالجة السلوك البشري المحتمل على المستوى الفردي أو الجماعي (المجتمع)، والآثار التي تنتج عن هذه السلوكيات في المستقبل، ومن أمثلة الخيال العلمي الناعم نجد فيلم (wall-e) وهو من أنواع أفلام الرسوم المتحركة (الأنيميشن) أنتجته شركة ديزني ، عالج الفيلم فكرة نهاية الحياة على هذا الكون بسبب عدم حفاظ الإنسان وإهماله لموارد الطبيعة.

غير أنّ هناك بعض الكتاب يطمسون الحدود الفاصلة بين النوعين (الخيال العلمي الصّعب واللّين) فيقومون بمزاوجة الفرعين في أعمالهما الفنية والأدبية ، إضافة إلى أنّ هناك كتاب آخرين من يكتبون في المجالين ، ويجعل الخيال العلمي الناعم المتابع يجذب بأحاسيسه و مشاعره للعمل الفني أو السينمائي ، في حين يضيفي الخيال العلمي الصّعب نوعاً من التنبؤات الدقيقة.

إضافة إلى أنّ هناك أنواع فروع كثيرة للخيال العلمي منها: الخيال العلمي الاجتماعي، والخيال العلمي العسكري، والتاريخ البديل وغيرها من الأنواع والفروع التي يمكن إدراجها تحت مظلة هذا النوع الأدبي .

الفصل الأول : أدب الخيال العلمي :

أولاً : مفهوم أدب الخيال العلمي

ثانياً : واقع ونشأة الخيال العلمي في الأدب الغربي والعربي

1_ في العالم الغربي

2_ في العالم العربي

ثالثاً : خصائص وموضوعات أدب الخيال العلمي.

3_ الخصائص

2_ المواضيع

أولاً_ مفهوم أدب الخيال العلمي :

إنَّ المتأمل في العصر الرَّاهن يجد أنَّ الإنسان المعاصر يركز في حياته اليومية على التكنولوجيا بجميع أنواعها ، فقد أصبحت هاته الأخيرة تسيطر على العالم ككل، فنجد التلاعب بالشفرات الوراثية والإستتساخ والنَّكاء الإصطناعي والأقمار الصناعية والروبوتات ، وكلَّ ما توصل إليه الإنسان لإرضاء فضوله وتطلَّعاته ليصبح العالم كَّله يسبح داخل بؤرة ما يعرف باسم الرقمنة متضاريا بين صراع أمواجها.

ولمَّا كان الأدب والفن جزءا من عملية التَّطور البشري باعتباره كمرآة عاكسة عن الحياة البشرية بكلِّ أبعادها ونواحيها كما نلاحظ ذلك في أغلب الأعمال الأدبية قصَّة، أو رواية ،أو غيرها من الأجناس والفروع التي تتدرج ضمن مظلة الأدب، فإنَّ هذا الأخير قد امتزج بالعديد من المفاهيم الفلسفية والعلمية والتي فرضها العصر الرَّاهن الَّذي نعيشه اليوم ، متوجَّها بذلك لمعالجة استجابات الإنسان مع العلوم والتكنولوجيا عن طريق الكتابة والتدوين، فخصَّصت لها الأعمال الأدبية حيزا خاصا في هذا الميدان ، عرف هذا الحيز بأدب الخيال العلمي كنوع من أنواع الأدب يهدف لنقل الحقائق والتنبؤات العلمية بأمانة ونظرة مستقبلية ، وقد تعدَّدت تعريفات هذا الفرع ، إلَّا أنَّه ما من أحد قادر على إعطاء تعريف شامل لهذا الجنس ربَّما لشساعة موضوعاته فنجد من يعرفه على أنَّه: " ذلك الفرع من الأدب الَّذي يتعامل مع تأثير التغيير على النَّاس في عالم الواقع، ويستطيع أن يعطي فكرة صحيحة عن الماضي والمستقبل، والأماكن القاصية ، وغالبا ما يشغل نفسه بالتعبير العلمي أو التكنولوجي، وعادة ما يشمل أمورا ذات أهمية أعظم من الفرد أو المجتمع المحلي"¹ ، إذ يصبح بذلك أداة للتنبؤ والإستقراء ، محاولا بذلك تشكيل الحياة وفقا لما يخدم الحاضر والمستقبل، فيأخذ مؤلَّفه إلى تصوُّر حياة أفضل مقَّما حلولا لمسائل معقَّدة قد تفتك بحياة البشرية حاضرا ،أم مستقبلا ،

¹ - روبرت سكولز وآخرون ، آفاق أدب الخيال العلمي، تر: حسين شكري، الهيئة المصرية العام للكتاب، مصر، د،ط، 1996م، ص 46 .

مستخدما تعبيراً علمياً خيالياً في العادة ما يكون أقرب إلى الدقة ، وأدب الخيال العلمي يرتبط بفكرة اجتماعية مفادها توعية العالم على آفاق العلم وحل قضايا المجتمعات المعاصرة . ويعرفه إسحاق عظيموف على أنه: "ذلك الفرع من الأدب الذي يهتم بتأثير التّقدم العلمي على البشر"¹ ، فتصبح كتابات الخيال العلمي عبارة عن تقارير علمية لما يحيط بالحياة البشرية معالجا قضاياها ومشاكله من خلال التّوقّعات والتّنبؤات التي يطرحها، ولعلّ أغلب كتاب الخيال العلمي كانوا باحثين قبل ولوجهم عالم الكتابة والتّأليف ، وهذا ما يفسّر تمكّنهم من بعض النظريات العلمية الموجودة في بعض الروايات والقصص ، " وللخيال العلمي أيضا دور أساسي فيما يتعلّق بالتمهيد للمستقبل، فهو يغرس في نفوس القراء مقدرة ومهارة تصميم سيناريوهات، يمكنهم بواسطتها اتّباع أساليب بديلة ، أو تعديل أدوارهم في الحياة سواء في الحاضر أو المستقبل"²، فالمتلقي أو القارئ لأعمال الخيال العلمي يغوص في العوالم التي يجدها في مؤلّفات الخيال العلمي فيتخلّى نفسه جزءا من تلك العوالم ، وقد تتغيّر بعدها نظرتة ودوره في الحياة الواقعية ، فمثلا لو قام بقراءة رواية للخيال العلمي تدور أحداثها حول ما يؤول إليه العالم جرّاء التلّوث البيئي ، فمن المؤكّد أنّه سيكتسب معرفة تجعله يراجع جميع الأعمال التي يقوم بها ومن شأنها أن تلّوث البيئة ، وبذلك تتغيّر نظرتة من خلال هاته الأعمال كما سبق وذكرنا، هذا أبسط مثال على ذلك ، فالخيال العلمي هو منهج لتقديم الثقافة العلمية بشكل درامي أخاذ ومشوّق بهدف إيصال رسائل عبر مواضيع عديدة وبأساليب مختلفة ، كما أنه " يروّض المستقبل، ويقرّبه إلى ذهن القارئ بحيث يطمئن إلى أنّ الأشكال الاجتماعيّة الفنيّة المألوفة له سوف تستمرّ وتخضع لوسائل السيطرة العقلانية ، وهذه نتيجة لانشغال أدب الخيال العلمي بمجموعة معيّنة من المعتقدات ، ولافتراض أنّ اتّساع نماذج وأنماط العلم المعروفة لنا تقوّي وتزيد من مصداقيته ، ويفتح لنا

¹ - إميليت جواسوامي ، العلم والخيال يتضافران على استشراف الواقع، رسالة اليونسكو، تصدرها منظمة الأمم المتّحدة والثقافة، اليونسكو، نوفمبر 1984م، ص04

² - جون جريفيس ، أدب الخيال العلمي الأمريكي والبريطاني والروسي (السوفييتي)، ص 08

الخيال العلمي مجالا يمكن أن تكون حدوده واسعة حقًا ، إذ بخلاف دراسات المستقبل فإنّه ليس واقعا تحت ضغوط أو قيود للتنبؤ بأي أحداث مستقبلية مرتقبة بشكل أو بآخر، ويمكن للخيال العلمي أن يأخذ كإطار له المدى الكامل من المستقبلات الممكنة ولا يقده ما يقبله العقل البشري"¹.

إنّ أغلب كتابات أدب الخيال العلمي تدور في فلك التنبؤ بعوالم المستقبل ، راجية بذلك إيجاد طرق وأساليب تسهّل حياة البشرية ، ولا يشغل بهذا الموضوع فحسب ، فقد غني هذا الأخير بمواضيع عديدة كالحروب التي قد تنشأ مستقبلا أو امكانيات العيش في الفضاء ، فارضة بذلك ثقافة جديدة في المجتمعات التي تعنى بالخيال العلمي ، وبذلك وجد العالم نفسه في رحلة متعدّدة الأبعاد والمحطّات داخل بؤرة النّظم العلمي والتكنولوجي ، بحيث أصبح كما يقال فيه أنّ الواقع أغرب من الخيال ، وجلّ الكتابات الأدبية للخيال العلمي تبنى على رؤية تنبؤية ناتجة عن تخمين واقعي لأحداث قد تحدث فعلا ، وذلك لاستناده إلى معطيات العلوم الصحيحة نظرية كانت أم تطبيقية بحيث تلعب العلوم الفيزيائية دورا كبيرا في إلهام كتّاب الخيال العلمي في اختيار مواضيع وأفكار لمؤلّفاتهم ، وترتكز هذه الأخيرة - المؤلّفات - على ركيزتين أساسيتين أولهما هي المخيلة والثّانية هي الحقائق العلمية، مكوّنة بذلك العناصر الأساسية التي يقوم عليها هذا النوع من الأدب فتصبح الكتابات عبارة عن خيال يبحث عن اللاموجود بعبارات علمية مفهومة في محاولة لجعل هذا الخيال حقيقة ممكنة ، فتصبح نصوص الخيال العلمي عبارة عن فكرة إيحائية للقراء بشكل عام وللمبدعين بشكل خاص، " فأدب الخيال العلمي يشرح العلوم ويبسّطها (دون تسطيح لها) ويحثّ المتلقّي (سواء القارئ في كتاب ، أو المستمع لإذاعة، أو المشاهد في سينما أو مسرح أو تلفزيون)، على الشّغف بالعلوم ومعايشة الأجواء العلمية"².

¹ - جون جريفس، أدب الخيال العلمي الأمريكي والبريطاني والروسي (السوفييتي) ، ص 10 .

² - نهاد شريف ، الدور الحيوي لأدب الخيال في ثقافتنا العلمية ، المكتبة الأكاديمية سلسلة كراسات مستقبلية، القاهرة، ط1، 1997م، ص 33 .

ولعلّ من أبرز الروايات التي ظهرت الوعي في زمن مضى لما سيؤول إليه عالم اليوم هي رواية جمهورية الأخ الأكبر 1984م للكاتب البريطاني جورج أورويل ، والتي نشرت سنة 1949 م ، وهي من أشهر الروايات التي تنبأت بالمستقبل وحذرت من عالم سيسوده الظلم والاستبداد بالإضافة إلى التحذير من الإنهيار الكامل للقيم الإنسانية النبيلة ، وتحول البشر إلى أشخاص منعدمي العواطف والأحلام مثل الآلات الصماء ، وللأسف الشديد هذا ما وصل إليه عالم اليوم، إضافة إلى سلسلة كثيرة من الروايات التي قامت بدور إيقاظ الوعي لدى الإنسانية، فلم تقتصر نصوص الخيال العلمي على العوالم المستقبلية والتطور فقط ، بل حذرت من وقوع أزمات في هاته العوالم القادمة أيضا ، "وعلى المستوى العلمي بالتحديد يؤشر أدب الخيال العلمي للمشكلات الملحة بقصد معالجتها، وفي الوقت نفسه يوجه الأنظار إلى النتائج المنطقية المنقطعة الحلول مثل هذه المشكلات، وأثر هذه النتائج ووقعها على المجتمع الإنساني"¹ ، ليتماشى بذلك مع مقتضيات الوقت الراهن ، فمن المعروف أنّ هذا النوع يحاك تفاعل الإنسان مع الطبيعة ، والعلم ، والتكنولوجيا ، ليصل به إلى ما هو مجهول وقد يحدث إنطلاقا مما يحدث في الوقت الراهن من تطور ربما كان في الماضي البعيد مجرد خيال ، "ولعله من المشروع بناء على هذا أن نقول إنّ أدب الخيال العلمي وإن كان أدبا خياليا فالخيال فيه ليس خيالا جامحا أو حرا، لأنه يربط نفسه منذ البداية بحقائق علمية معروفة ، أو باكتشافات علمية قائمة أو محتملة (بناء أيضا على ما هو معروف) ينطلق منها للكشف عن جانب مجهول من الكون أو من الحياة والنفس الإنسانية، محرّكا أحداثه من مكان مجهول في الحاضر أو الماضي، أو منطلقا إلى المستقبل"² ، وهذا شيء طبيعي في الفطرة الإنسانية ، وفي هذا الشأن يقول الكاتب إسحق أسيموف: "أعتقد أنّ أي فرد يصبو إلى مجتمع وعي أبسط في مجتمعنا ، وثقافة بدائية أبوية فاضلة بعيدة عن جنون

¹ - محمود قاسم ، الخيال العلمي مصطلحات وأسماء ، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 2009م، ص19.

² - عصام البهي ، الخيال العلمي في مسرح توفيق الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1999م، ص12.

الحياة الحديثة ، إنما يتوق إلى شيء لم يحدث ولم يوجد قط"¹ ، إذن يمكننا القول أن هذا الفرع يهتم بمعالجة المسائل الإنسانية واستجاباتها مع التغيرات الحاصلة على صعيد العالم والتقدم الذي يحصل فيه، فينطلق من أحداث الواقع وصولاً إلى المستقبل وما قد يحدث فيه.

أستاذ الفيزياء بجامعة أوريغون الأمريكية وأحد كتّاب الخيال العلمي (إميت جواسوامي) يعرفه على أنه: "ذلك الضرب من الرواية الذي يعرض لتأثيرات التغير في العلم والمجتمع"² ، إذ تعتمد هذه الروايات على الحقائق العلمية المتوصل إليها في مختلف العلوم الطبيعية والاجتماعية لتصل بها إلى نظام أكثر تجاوباً في المستقبل ليتماشى مع الأزمان القادمة ، وتتضمن رواية الخيال العلمي مجموعة متنوعة من المفاهيم المستقبلية وذلك لتعدد مواضيعها وغالباً ما يبحث كتّاب الخيال العلمي عن تطورات علمية جديدة في سبيل التكهّن بأسلوب حر بالتغيرات التقنية الاجتماعية التي ستصدم شعور المتلقي بالملاءمة الثقافية وتزيد من وعيه، كما أنها تسعى أحياناً إلى تخريب النموذج السائد وذلك عندما يرى المؤلف أن الوضع الراهن ضار بالفعل، وبالتالي يعتبر أحياناً مدّوا وعدوانياً ، يستكشف الاحتمالات ويدمر الحدود بطريقة يمكننا القول أنها طريقة عكسية إذ يوفر هذا الأخير وجهات نظر بديلة حول الموضوعات المألوفة ، وذلك لإعطاء منظور آخر يكون أعم وأوضح للمتلقى ، ويعرف أيضاً بأنه: "ذلك الفرع من الأدب الروائي الذي يعالج بطريقة خيالية استجابة الإنسان لكلّ تقدّم في العلوم والتكنولوجيا، (...) ، ولهذا النوع من الأدب القدرة على أن يكون قناعاً للهجاء السياسي من ناحية، وللتأمل في أسرار الحياة والإلهيات من ناحية أخرى"³ ، ويتّضح لنا من خلال هذا التعريف أن أدب الخيال العلمي هو ذلك القصص العلمي التصوري الذي ظهر نتيجة تطوّر التقنية المتقدمة في شتّى المجالات واتخذ من المغامرات والصراعات السياسية

¹ - اسحق أسيموف ، الحقيقة والخيال، تر: جمال الدين الفندي وجابر عبد الحميد جابر، دار المعارف، مصر، د.ط، 1995م، ص 353 .

² - رجب سعد السيد ، الثقافة الغائبة، اطلع عليه ب: 2020/6/5

//www.arabworldbooks.com:http

³ - مجدي وهبة وكامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، د.ط ، 1979م، ص 105 .

موضوعا له، وهذا ما يتوافق مع تعريف الدكتور عصام البهي الذي عرف أدب الخيال العلمي على أنه: "أدب مملوء بالخيال يقوم على اكتشافات علمية أو تغيرات بيئية مفترضة ويعالج عادة رحلات الفضاء والحياة على الكواكب الأخرى"¹، أما الأستاذة لنا الكيلاني فتعرف أدب الخيال العلمي على أنه ذلك الفرع من الأدب الذي: "يتوافق مع النظريات العلمية الصحيحة والدقيقة أيضا"²، فأغلب نصوص الخيال العلمي ما هي إلا نتاج شحنة انفعالية عند الكاتب مدعومة بمرجعية معرفية مع معطيات علمية دقيقة وهذا ما يفسر صدق تنوُّ بعض الأعمال الأدبية الفنية التي كُتبت في القديم وتوصل إليها العلم حقًا، فكاتب الخيال العلمي يضع نصب عينيه قطبين رئيسيين قبل الخوض في التجربة، القطب الأول يتمثل في العلوم والتكنولوجيا بشتّى نواحيها، أما القطب الثاني فيتجلى في الجماليات والخيال الواسع لدى المؤلف، فينتج عن ذلك تصميم قائم على العلم والتكنولوجيا وهذا التصميم يأتي في شكل قالب فني أدبي، فالسمة الرئيسية لهذا الفرع هي عدم التناقض بين هذان القطبان.

غالبا ما تطرح كتابات الخيال العلمي إشكاليات عديدة تكون بداية انطلاقها، وبطريقة ما تحاول الإجابة عنها من خلال الخيال المرتبط بالعلم، ولعل أبرز تلك الإشكاليات هي: ماذا سيحدث عن التقدم العلمي وما هي العواقب التي سترافق هذا التقدم؟ وأي مستقبل ينتظر الإنسانية؟ وما قيمة الحياة للبشرية؟ وهل هناك أكوان أخرى يستطيع الإنسان العيش فيها؟ وغيرها من الأسئلة التي تجعل القارئ في حالة من الدهشة لما سوف يحدث في المستقبل البعيد نتيجة الاختلاف بين ما يكتب في الخيال العلمي وما يحدث في الواقع، "فأدب الخيال العلمي ليس أدب المستقبل أو أدب صناعة الأحلام وحسب بل إنه أيضا أدب قضايا الحياة الاجتماعية العلمية، فهو لا يتأسس فقط على بناء عوالم المستقبل من خلال الخيارات المتوفرة، بل إنه عند تدرجه في بناء تلك العوالم ملزم بالإحاطة بتصور المجتمع وبالمشاكل

¹ - عصام البهي، الخيال العلمي في مسرح توفيق الحكيم، ص 09.

² - لنا الكيلاني، أدب الأطفال والخيال العلمي بين الواقع والطموح، اجتماع خبراء أدب الخيال العلمي في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 2009م، ص 07.

الإجتماعية الناتجة عن تطوّر العلم في مسارات محدّدة¹ ، وبطبيعة الحال فإن العلم مهما بلغت ذروته على تسهيل الحياة وبناء المجتمعات وتطويرها ، غير أنّه قد يصبح أحيانا السبب الرئيسي في تصدّع الأسس المتينة التي تبنى عليها قيم المجتمعات ، إذ قد تحدث جرائم وفضائح تحت ما يسمّى باسم العلم، فيصبح بذلك سلاح ذو حنين.

" ولعلّ أفضل مدخل لدراسة علوم المستقبل يستلزم أخذ أدب الخيال العلمي مأخذ الجدّ، لاسيما من حيث منهجيته والتّصوّر العام له ومحتواه ودوره الإجتماعي ،لأنّه يمثل خريطة بديلة للمعرفة يمكنها تطعيم (خبير المستقبل) بالخيال الإبتكاري الذي يرتبط على نحو ما باستخدام المنطق الحدسي وأنماط التّصور غير المباشر والتّفكير الشّامل في شخصية الانسان"² ، فأدب الخيال العلمي لا يقتصر على الكلمات الموجودة في الكتب فقط بل هو أداة مفيدة تؤثر في بناء العالم الحديث ربّما أكثر من أي فرع أدبي آخر ، فقد لعب هذا الأخير دورا رئيسيا في تنمية البشرية وبالتالي يجب أن يؤخذ الخيال العلمي بجديّة أكبر من خلال إعطائه المكانة المستحقّة في جميع المستويات التّعليمية ،إذ يعتبر من أهمّ الأسباب الضّرورية لإعداد جيل من المبدعين والمبتكرين والمفكرين .

ثانيا : واقع ونشأة الخيال العلمي في الأدب الغربي والعربي :

1_ في العالم الغربي :

شهد الخيال العلمي في منتصف القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر قفزة نوعية مست جل المواضيع والأفكار التي كانت تكتب في هذا المجال سابقا ، إذ تزامنت هاته الفترة بظهور الثورة العلمية التي شملت جل نواحي الحياة آنذاك ، نتيجة تنوع الأبحاث والتجارب والتي مست بدورها جل الفروع العلمية والأدبية وكانت سببا في ظهور اكتشافات

¹ - جميلة بورحلة ، أدب الخيال العلمي بين العلمية والأدبية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، إشراف : د عبد المالك بومنجل ، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة فرحات عباس سطيف 2009 / 2010م، ص103.

² - عبد الرحمن عبد الهاشمي وآخرون ، أدب الطّفّل فلسفته أنواعه تدريسه، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ط1 ، 2009م، ص 154 .

واختراعات عديدة ، فنشرت الطاقة الكهربائيّة كما ظهر أول مصباح كهربائي ، إضافة إلى اكتشاف البترول الذي غرّ استعمال الفحم آنذاك وباكتشاف البترول ظهرت بعده معادن كثيرة ، هاته المعادن ألّت إلى تطور الآلة آنذاك، لقد كانت حقبة من الاكتشافات والإختراعات العلمية المتسارعة بسرعة كبيرة، بدأت الرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والكهرباء تحتل المقدمة ممهدة الطريق أمام الثورة الصناعية التي شهدت بدورها ظهور عدة اختراعات لم تكن موجودة من قبل ، أو كانت مجرد أحلام وخيال بشري ، كل هاته العوامل لعبت دور المنبه الذي أفاق نمط التفكير العلمي من بابهِ الواسع في شتى الميادين ، وقد كان لهاته العوامل تأثير كبير على الناحية الأدبية بصفة عامة ، وعلى ما يُعرف بأدب الخيال العلمي بصفة خاصة ، إذ حرصت تلك الاكتشافات والنظريات العلمية المتوصل إليها عقول الأدباء ليبعدوا في هذا المجال _أي مجال أدب الخيال العلمي _ بشتى المواضيع والتي لم يعرفها العالم سابقا ، إذ انتقل التفكير في هاته الفترة من المواضيع الدينية ليتركز الجهد على تحسين الحياة الدنيا والبحث عن المستقبل، ومن هنا تطورت كتابات أدب الخيال العلمي لتخرج عن الحدود باحثة عن اللاموجود بواسطة الموجود، والذي من شأنه خدمة الإنسانية وتوفير حياة أفضل ، فما دام الإنسان في وسط معركة الحياة فعليه الجهاد في جل نواحي الحياة.

برزت في هاته الفترة أعمال كبيرة لجول فيرن والإنجليزي ويلز، والتي اعتبرت بدورها فاتحة لأدب الخيال العلمي الذي يستوفي كل شروطه، غير أننا لا يمكننا أن نتخطى العمل أو المكان الأول الذي بدأ فيه كل شيء ، وهو عمل واحد يمكن لكل قصص الخيال العلمي أن ترجع جذورها الأولى إليه ، وهي رواية فرانكشتاين لرائدة الخيال العلمي ماري شيلي(1797/1851) ، نشر هذا العمل سنة 1818م، تحكي الرواية عن رجل اسمه فيكتور فرانكشتاين والذي يقوم بتجارب علمية فينتج عن هاته التجارب مخلوقا غريبا، ومن هنا تبدأ فكرة الرواية والتي اعتبرها الكثير من النقاد أنها فاتحة مبكرة لأدب الخيال العلمي ، في حين أن هناك من ذهب إلى أن هاته الرواية لا تندرج إلا ضمن أدب الرعب القوطي ،

ومع ذلك فهي تعتبر من أهم الإدخالات في تاريخ أدب الخيال العلمي ، إذ تعتبر واحدة من القصص الأولى التي حطمت قالب رواية الخيال العلمي التقليدية واعتبرت هاته الرواية من روايات الخيال العلمي التي تحذر من عواقب التقدم العلمي إضافة إلى أنها شملت عدة أفكار علمية كالاستنساخ والهندسة الوراثية.

ثم تلتها أعمال أخرى كانت فاتحة لأعمال أدب الخيال العلمي أيضا مثل رواية المومياء أو القرن الثاني والعشرين لجين سي لودون ، وهي قصة تحكي عن إعادة إحياء الفرعون المحنط إلى المياه ليجد نفسه في عالم مستقبلي غارق في الأزمات السياسية ، مستخدما التقنية العلمية في إعادة هذه المومياء إلى الحياة ، لتدخل الرواية ضمن أعمال الخيال العلمي في وقت مبكر .

ومع ذلك فإن استجابة المفكرين والأدباء للثورة العلمية التي ظهرت في منتصف القرن الثامن عشر كانت تسير ببطء فجّل الأعمال الأدبية حينها ، كانت متركزة حول التغيرات الاجتماعية في تلك الفترة فقد ، إضافة إلى أن ردات الفعل لم تكن تسري في المنحنى نفسه مع بقية البلدان ، فنجد أن فرنسا هي من كانت لها الريادة الأولى في الاستحواذ على كتابات هذا النوع بكل تقنياته ، ناهيك عن التأخر الذي شهدته روسيا في هذا المجال عن بقية الأقطاب الغربية الأخرى ، وسنقوم في هذا المبحث بعرض تطوّر الخيال العلمي الأدبي في بعض البلدان الغربية من خلال الاستعانة ببعض المؤلفات والكتّاب الذين أبدعوا في هذا المجال.

أ_ أدب الخيال العلمي في فرنسا (أعمال جول فيرن أنموذجا):

تعتبر فرنسا رائدة أدب الخيال العلمي بحيث ظهر هذا النوع من الكتابات فيها في وقت مبكر ، ولعلّ أبرز من كتب في هذا المجال هو المؤلف جول فيرن (1828 - 1905م) والذي لقب برائد الخيال العلمي ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى التطور الذي شهدته فرنسا عقب الحرب العالمية الأولى ، وهو السبب الذي مسّ قريحة الأدباء آنذاك فبرعوا في مجالات عدّة ناهيك عن أدب الخيال العلمي، فظهرت قصص كثيرة لجول فيرن أخذت

مجال كلاسيكيات هذا الجنس من الأدب ، فنجد أن رائد أدب الخيال قد كتب مغامرات قصصية خيالية تجمع بين بحث الإنسان عن المجهول ، وبين التكنولوجيا الحديثة التي رافقت الثورة الصناعية ، وقد لاقت هذه القصص نجاحا باهرا آنذاك فتحصّلت على إقبال وافتتان كبير من جمهور القراء ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن فيرن وفق إلى حد كبير في إعطاء الكائنات والأشياء الموجودة داخل قصصه روحا وحياة خاصة غير معروفة من قبل ، وهذا ما يحصل عادة في كتابات أدب الخيال العلمي .

بدأ فيرن أعماله برواية عنونها ب (Five Weeks in a Balloon) خمسة أسابيع في منطاد، قام بنشرها سنة 1863م ، وهي عبارة عن قصة تحكي عن ثلاثة أشخاص يصعدون في منطاد ويجوبون سماء إفريقيا في خمسة أسابيع مستكشفين عوالمها في مخاطرة لمواجهة قارة غامضة وشعب غير معروف لديهم ، لاقت الرواية نجاحا كبيرا في فرنسا والعالم وشكّلت بداية مشروعه الأدبي في مجال الخيال العلمي ، وجاء بعد هذا العمل رواية استكشافية أخرى عنونها برحلة إلى مركز الأرض (Journey to the center of the earth) نشرها سنة 1864م، أي بعد عام فقط من نشره لروايته الأولى التي لاقت نجاحا كبيرا ، تبدأ أحداث هذا العمل في ألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر، حيث يستكشف البطل مخطوطة قديمة فيقرر الذهاب في رحلة إلى مركز الأرض ، يرافقه في هاته الرحلة شخصين يتمثلان في ابن أخيه والمرشد، تبدأ الرحلة من وصولهم إلى فوهة البركان نزولا إلى باطن الأرض ، بعدها تحدث لهم مغامرات كثيرة في هاته الرحلة إذ يصف الكاتب هاته المغامرات المرفقة ببعض الاستكشافات والمناطق الغريبة...، وهذه الرواية عبارة عن مزيج ذكي من البيانات العلمية والاستقراء الجريء والمغامرة الممزوجة بالخيال، وتعتبر هذه الرواية كمقّمة واسعة لما يعرف اليوم بعلم الجيولوجيا والحفريات ، " ومع أن جول فيرن لم يقتصر في كتاباته على الخيال العلمي ، فإن شهرته في هذا النوع الأدبي قد طغت على جميع ما كتب، لاسيما وأن الكثير من الكتّاب والعلماء قد أثنوا عليه، فقد امتدحه تولستوي واعترف بأن جول فيرن قد سحره برواياته، كما وصفه الفنان سلفادو دالي بأنه كان عميق الذهن، كمخترع الغواصة سيمون

ريكو، ومبتكر المنطاد ألبرتو سانتوس دومون، ومخترع الطائرة العمودية جان كودورينو¹، واعترف عدد من الباحثين والعلماء باستفادتهم من كتابات جول فيرن في بعض اختراعاتهم بحيث شملت كتاباته وصف أشياء لم تكن موجودة من قبل كالهاتف والغواصة... وغيرها، وقد تناول الكاتب أيضا موضوع الصعود إلى القمر وإمكانية وجود عوالم أخرى كذلك في روايته التي عنونها ب((من الأرض إلى القمر)) (from the Earth to the Moon) نشرها سنة 1865 م، وهي إحدى روائع المؤلف جول فيرن والتي تدل على قدرته وتمكّنه من استعمال خياله في الربط بين الواقع التاريخي والمجريات العلمية، وروح الدعابة، وتدور أحداث هاته الرواية حول مغامرة يقوم بها مجموعة من الأشخاص، وتبدأ الأحداث بعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية، فيصور الكاتب مجموعة من الضباط المتقاعدون والذين سئموا من حياة السلام والهدوء ومن الحياة الخاملة التي سيطرت عليهم بعد انتهاء الحرب وفترة خدمتهم، وفي إحدى الأيام يقّم لهم رئيسهم إمبي باربيكان اقتراحا مذهلا وبمجرد ثواني من اللحظة الأولى التي أصيبوا بها بالذهول يعجبون بالفكرة بحماس وهذيان زائد، وهاته الفكرة كانت عبارة عن إرسال مقذوف ضخم يتم إطلاقه بواسطة مدفع عملاق، وبينما هم منشغلون في بناء الممرات يرسل لهم الفرنسي ميشيل أردان برفقة ليقّم لهم اقتراحا جديدا بدلا من إرسال الكرة أو القذيفة، نصحهم ببناء قذيفة مجوّفة تشبه مركبة الفضاء ومن خلالها يمكن للرجال أن ينتقلوا إلى القمر داخلها، بعث الرئيس إلى أردان وطلب منه الحضور إلى أمريكا فأقنع الجميع بفكرته ثم وصل يوم الإطلاق وصار كلّ شيء كما هو متوقّع.

قاد جول فيرن في هذه الرواية ببراعة كبيرة قراءه إلى مجالات علمية معقّدة في علم التّنجيم والميكانيك في صناعة تلك الأدوات وشرح كيف سيكون من الممكن إرسال القذيفة في الوقت المحدد، كلّ هذا يدلّ على البصيرة وقوة الدّقة والحدس الذي يمتدّع به هذا الكاتب

¹ - محمد عبد الله الياسين، الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث في ضوء الدراسات المقارنة، ص36. نقلا عن: نبيل راغب: التفسير العلمي للأدب نحو نظرية عربية جديدة، مكتبة لبنان، ط1، ص88.

الذي صُفَّ كأحد أكبر أعلام أدب الخيال العلمي في العالم ككل، ويذكر أنه بعد قرن تقريباً من نشر الرواية تم إرسال أول رحلة إلى القمر ، فاعتبرت هذه الرواية عند الكثير من الباحثين أنها واحدة من الأعمال التنبؤية التي تركز على قواعد علمية صحيحة ، غير أنه معروف عند الكثير أن جول فيرن لم يتلق أي دروس علمية أو تنمية فكرية عن هذا المجال، حيث كان يركز على معارفه الثقافية فقط، حقاً يستحق لقب زعيم أدب الخيال العلمي.

تواصلت أعمال جول فيرن وفي سنة 1873م أصدر الرائعة الفيرنية التي أطلق عليها عنوان عشرون ألف فرسخ تحت الماء (Twenty Thousand Leagues Under The Sea) ، تبدأ أحداث الرواية في سنة 1866م عندما يشعر الناس بشيء غريب يظهر في المحيطات مما أثار غضب سكان الموانئ والملاحين، وأثارت هاته الحادثة الرأي العام على نطاق واسع ، ليظهر بعد ذلك أنه وحش بحري ضخم يقطن في المحيطات ويتنقل في أماكن عديدة ، ليتم بعدها تنظيم رحلة لأعماق البحر في سفينة ابراهام لنكولن وهي سفينة أمريكية سخرت من أجل القضاء على هذا الوحش ، تنطلق الرحلة بعدد من الشخصيات من بينهم العالم الفرنسي المختص في المحيطات والأسماء رفقة خادمه ، تواصلت الرحلة لعدة شهور لكن لم يستطع الفريق القضاء على هذا الوحش، وفي إحدى الأيام يقوم الوحش بتحطيم السفينة ، وللأسف فقد نجى منها ثلاثة أشخاص فقط ليدركوا بعدها أن الذي هاجمهم ليس وحشاً بل شيئاً صلباً ، وهي الغواصة التي كان يقودها نيمو الذي أطلق هذا الاسم المستعار على نفسه ، ليجد الثلاثة أنفسهم داخل السفينة الغريبة ثم يتعرفون على طاقمها وقائدها وهو شخص غامض والذي يرفض منحهم الحرية ، إذ يقضون ما يقارب 8 أشهر داخل هاته الغواصة متجولين في أعماق المحيطات ، وهنا يبدأ الكاتب بسرد ووصف الأشياء التي رأوها في المحيطات والتي كانت شبه دقيقة علمياً إضافة إلى الكنوز الغارقة على مر الأزمنة، تنتهي الرواية باكتشاف شخصية نيمو من طرف الثلاثة الناجين ونجوا قبل تحطم السفينة في النوامات، تنتمي الرواية لأفضل أعمال أدب الخيال العلمي لما ورد فيها من

تصوير دقيق لأشياء لم تكن مكتشفة من قبل، إذ تتبأت هاته الأخيرة - الرواية - بصناعة الغواصات الكبيرة منطلقا بذلك من قاعدة علمية صحيحة ، إضافة إلى أن الرواية احتوت على تصوير ملابس الغوص وأجهزة التنفس وكذلك تحديده المسارات الدقيقة التي عبرتها الغواصة في عدة أماكن.

وبعد فيرن لمعت أسماء أخرى في نفس المجال أمثال لويس بوسنارد، وتشارلز ديرينز الذي أصدر رواية شعب البولوا ، وبعد سنوات من الحرب العالمية الأولى يظهر جيل لديه نظرة جديدة لأدب الخيال العلمي من خلال تغير رؤيته للتطور التكنولوجي والعلمي وما ينتج عن ذلك إن زاد الشيء عن حته فأصبحت لدى الكتّاب نظرة تشاؤمية من هذا التطور، وهنا بدا التراجع واضحا في كتابات أدب الخيال العلمي في تلك الفترة، فظهرت مؤلفات قليلة فقط ، وغالبا ما كانت تدور هاته المؤلفات حول مواضيع التشاؤم أو التحذير من مخاطر العلم الذي سيؤتي إلى خلاص مستقبل البشرية ، مثل رواية بيير بول المعنونة بكوكب القردة ، ودام هذا التراجع النسبي في هذا المجال إلى أن بدأ التطور في كتابات الخيال العلمي في الدول المجاورة ، كأمريكا وإنجلترا ، فعاود الخيال العلمي الفرنسي في الظهور لكنه لم يصل إلى اليوم إلى مرحلة الازدهار التي شهدتها العالم في عصر جول فيرن .

ب- أدب الخيال العلمي في بريطانيا:

انعكست درجات التفاؤل التكنولوجي والعلمي بعد التطور الذي شهده العالم في القرن التاسع عشر والعشرين، والذي سبب بدوره تطورا في جل نواحي الحياة العلمية والتكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية ، وانعكس هذا التطور بدوره على مسيرة الأدب الانجليزي لتأثره بهاته الموجة العلمية ، فبعدها كانت الصدارة للأدب القوطي والذي كان مزيجا من العنف والرعب والإثارة مرتكزا على الابتعاد عن الواقع ومنطلقا في ذلك من الخيال الجامح اللامحدود ، وظهر هذا النوع في الساحة الأدبية البريطانية على يد مجموعة من الأدباء أمثال: هوراس وولبول، وويليام بيكفرد ، فظهرت مجموعة من المؤلفات القوطية التي تركز على الخيال اللامحدود كما سبق وذكرنا، وفي تسعينات القرن التاسع عشر وبدايات القرن

العشرين غرّ الخيال الأدبي طريقه ليدخل في عالم جديد ممزوج بالتّقدم التكنولوجي والعلمي، ومنطلقاً بذاته من الواقع في محاولة منه لإرضاء نفسه والتماشي مع ما يقتضيه العصر، فظهر ما يعرف بأدب الخيال العلمي كجنس أدبي جديد على السّاحة الأدبية الإنجليزية على يد مجموعة من المؤلّفين الذين أعطوا لهذا الفرع حقّه فظهرت نماذج أصلية لهذا الفرع مبتكرة بمواضيع جديدة لم يعرفها العالم من قبل ، والدّتي لا زالت إلى يومنا هذا كمحطّة إبداع لمجموعة من الباحثين المعاصرين ، ولعلّ من أبرز الرواد الذين تناولوا هذا الفرع أو لمع نجمهم في سماء أدب الخيال العلمي هو الكاتب الانجليزي هربرت جورج ويلز (1866م- 1946م) ، والذي سمي بشكسبير الخيال العلمي ، وعُرف أيضاً برائد أدب الخيال العلمي وذلك لما قدّمه لهذا الفرع من أعمال إبداعية لا زالت إلى يومنا هذا حلقة ممّوة في المكتبات العالمية وحتّى في السينما والمسرح، هذا وقد تحقّقت بعض الأفكار العلمية التي وردت في مؤلّفاته والتي اعتبرت فيما بعد أنّها النّقطة الحقيقية لبداية أدب الخيال العلمي البريطاني.

قدّم ويلز مجموعة من الروايات التي تتدرج ضمن أدب الخيال العلمي والتي تنوّعت في مواضيعها فكانت رواية آلة الزمن (the time machine) 1895م، وحرب العوالم (the war of the world) 1897م، وجزيرة الدكتور مورو ((Island of doctor moreau 1896م، كتابات جورج ويلز أغلبها كانت تدور حول فكرة التّحذير من التّطور العلمي أو استعمال العلم بشكل خاطئ ، وجلّ أعماله كانت تشير إلى أنّ ويلز كان يكتب الخيال العلمي لغرضين، الغرض الأوّل وهو التّشّثّ بالمستقبل بشكل صريح، والغرض الثّاني هو غرض اجتماعي للتوعية ،" وعلى الرّغم من أنّ بعض الباحثين اتّهموا ويلز بالشّطط وعدم التركيز في بعض رواياته، فإنّه استطاع التّنوُّ بالحرب العالمية الثّانية في رواياته (الحرب في الهواء) ، كما حدّد تاريخ الحرب العالمية الثّانية في روايته (في صورة الأشياء المقبلة) 1933 م، بنسبة في الخطأ لا تتجاوز عدّة أشهر، وحدّد سببها المباشر وهو التّواع على الممر البولندي ، ومع أنّ التّنوّات لا تحدّد القيمة الأدبية والفنّية للعمل الرّوائي فإنّها من جانب

آخر تدلّ على انضباط الكاتب وتتفي عنه تهمة الفنتازية أو الجموح بقصد الإثارة الرفيعة¹ ، وبطبيعة الحال هذا ما يُمز أدب الخيال العلمي عن غيره ، أي ارتكازه على النظريات العلمية ما يجعله عملاً تنبؤياً بالدرجة الأولى ، وبذلك فإنه يبتعد عن الفنتازيا حتّى وإن كان هذا التنبؤ مبنياً على الخيال الذي يعتبر بدوره عنصراً فاعلاً في جميع الأصناف والأنواع التي تندرج في قائمة أدب الخيال ، ولعلّ القائل أنّ كتابات ويلز اتّسمت بعدم التركيز ربما لأنّ ويلز كان يميل للطابع الاجتماعي الفلسفي الممزوج بالقضايا والتي كان يعطيها أساساً علمياً فتدخل بدورها هذا الطابع الذي يبعدها عن الفنتازيا كما سبق وقلنا، غير أنّ هناك من يرى أنّ سبب نجاح ويلز هو هذا المزج بين العلم من جهة والفلسفة من جهة أخرى، إذ يرى الدكتور جان غاتنيو أنّ ويلز " أحدث توازناً لأول مرة بين الرسالة التي يستحيل توصيلها والطرق الحديثة في إثارة الإحساس بها فهذا الأدب (قصص شعبية) و(حكايا) و(مغامرات) ، وقد جدّ ويلز بتسميتها (الروايات العلمية) الارتباط مع تقليد الرواية الشعبية (العاطفية أو المستمدة إلى السحر) الأسهل وصولاً إلى الجمهور الواسع، هذه الروايات أسهل وصولاً بالتأكيد نتيجة هذا الاقتران الذي لا يعجب العالم ولكنه يجذب الإنسان العادي بهذه الأدوات الجديدة والأفكار الفاتنة التي تثير رغبات شديدة، إنّ المثقّين الذين يعيشون (نزول المستوى) بالتمتّع بهذه التجديدات يمكنهم الاهتمام بالأفكار التي تحملها ، أما الجمهور الأقل (تطوراً) فيرى فيها وبحق وضع الفرضيات العلمية في قالب قصصي وبالتالي جعلها في مستوى إدراكه² ، ولعلّ هذا المزج هو ما جعل كتابات ويلز تحظى بشعبية كبيرة حتّى أنّ البعض منها مثلاً في أفلام سينمائية ، و في بدايات القرن العشرين أصبحت كتابات ويلز أقلّ تفاؤلاً حول مستقبل البشرية بحيث تركت الحرب العالمية الثانية أثراً ورؤية مغايرة عند ويلز مفادها قدوم عالم أسود على الأغلب

¹ - عبد الله الياسين ،الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث في ضوء الدراسات المقارنة ، ص 41.

² -جان غاتنيو ، أدب الخيال العلمي، تر: ميشيل خوري، دار طلاس ، سوريا، ط1، 1990م، ص 29 .

في خمسينات وستينات القرن المنصرم ظهر جيل جديد من كتّاب أدب الخيال العلمي في بريطانيا عرفت باسم الموجة الجديدة ، إذ حاولت هاته الفئة إدخال مواضيع وصيغ جديدة ، ولعلّ أبرز من مثّل هاته الموجة هو الكاتب آرثر كلارك والذي قدّم العديد من الأعمال المهمة خلال مسيرته الأدبية والعلمية ، ألف كلارك عدّة روايات تندرج في قائمة أعمال أدب الخيال العلمي البريطاني من بينها رواية (مقمّة للفضاء ، والنّطاق العميق ، مسار الانزلاق...) ، ومن بين أهم الأشياء التي تنبأ بها الكاتب هي الطّباعة ثلاثية الأبعاد ، الأقمار الصناعية ، والروبوتات ، والتي توصّل إليها العالم اليوم بالفعل ، تتميّز كتابات كلارك بالشّدة الصرامة ، " فقصصه شديدة القسوة باردة الأسلوب وذات منطقية صارمة ، مع أنّها قد نجد في القليل من ثنايا كتاباته مشاعر إنسانية لا تغطى عليها حيادية العلم كما في قصصه"¹ ، واعتبر كلارك من أبرز رواد أدب الخيال العلمي آنذاك ،

ساهمت عدة عوامل في تطوّر هذا الفرع في بريطانيا ، ولعلّ أبرزها ظهور المجالات التي خصّصت لهذا الفرع ، أو تلك التي جعلت من إحدى صفحاتها فضاء خصبا لمبدعي أدب الخيال العلمي ، ومن أبرز المجالات التي ظهرت في بريطانيا هي مجلّة حكايات العجائب أسست سنة 1937 م وعُيت بنشر إبداعات المؤلّفين في جنس أدب الخيال العلمي .

جـ_ مختصر الدول الغربية:

إنّ انتشار عدد كبير من المجلّات المبكّرة التي خلفت ميراثا لأدب الخيال العلمي في أغلب الدول الغربية من خلال قصص المغامرات البطولية العلمية التي نُشرت في إحدى صفحاتها ، أو تلك التي عُيت في هذا المجال فحسب ، إضافة إلى المؤلّفات والقصص التي تعود لعصور قديمة أو أزمان ماضية وما خلّفته الثّورة الصّناعية ، والتي بدورها أتت إلى تطوّر كبير في مجالي العلم والتكنولوجيا فظهرت الآلة في مختلف نواحي الحياة آنذاك ، والتي فتحت أفكّارا وتأمّلات جديدة للأدباء ممّا أّلى إلى كتابة مواضيع أدبية جديدة تتماشى

¹ - عبد الله الياسين ، الخيال العلمي في الأدب...، ص51.

ومتطلبات العصر لتكون بمثابة موجة مست الكثیر من الدول الغربية آنذاك ، فلو جئنا مثلا إلى الولايات المتحدة الأمريكية فنجد أن كتابات الخيال العلمي ظهرت فعليا في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين متأثرة هي الأخرى بعوامل التطور آنذاك لتكون سببا في بداية مشوار أدب الخيال العلمي الأمريكي ، ولعل تلك الأعمال المبكرة جعلتها تكون ضمن البلدان الرائدة في هذا الفرع الأدبي بعد فرنسا وبريطانيا، وهناك بعض الدارسين يرون أن جذور أدب الخيال العلمي الأمريكي أو ملامحه قد ظهرت قبل القرن التاسع عشر في حكايات الرعب التي أطلق عليها لفظ القصص القوطية ، أو الحكايات السوداء، لتبقى نقطة إشكال بين الدارسين عن أصول أدب الخيال العلمي في أمريكا ، غير أن الرأي الغالب يرجح أن بدايات أدب الخيال العلمي ترجع إلى إدغار، يقول أحد الباحثين عن هذا الكاتب : " كان رائد هذا المجال مبتكر طرزان إدغار رايس بوروغس في) تحت قمر المريخ) ، وهي سلسلة طويلة من المغامرات المريخية أطلقها في 1912م ، حيث يعيش كائن بشري واحد هو جون كارتر إلى ما لا نهاية (بعد ميتات عديدة وتقصّصات) ويقوم بمغامرات جنسية حربية على كوكب المريخ"¹ ، وهي عبارة عن مجموعة قصصية متسلسلة تحكي عن نفس البطل ، أي جون كارتر الذي يستيقظ كل مرة في مغامرة جديدة في كوكب المريخ ، ولعل العامل الأساسي في تطور وانتشار أدب الخيال العلمي في أمريكا كنوع من أنواع الوعي الذاتي في المجتمع ، يرجع إلى ظهور بعض المجلات المتخصصة في نشر أعمال وقصص الخيال العلمي إذ "يحدّد الكتاب الأمريكيون بدأ العصر الذهبي لأدب الخيال العلمي بتحوّل مجلة القصص الصاعقة Astounding stories المؤسسة في عام 1930م، إلى الخيال العلمي الصّاعق Astounding SF ، وقد حدث هذا التحوّل في عام 1937م عندما تسلّم جون وكامبل الأصغر JW campell إدارتها"² ، رافقها ظهور عدد كبير من الكتاب بما في ذلك اسحق أسيموف وعدد كبير من الكتاب الذين نشروا إبداعاتهم في هاته

¹ - جان غاتنيو ، أدب الخيال العلمي، ص35 .

² - المرجع نفسه ، ص37.

المجلة التي ساعدت في ازدهار العصر الذهبي للخيال العلمي في أمريكا آنذاك ، وتميّزت كتابات هاته الفترة بالدقة العلمية ، " فأصبحت قصص الخيال العلمي أكثر رزانة في أسلوبها ، فقد أراد كامبل حينها جمهورا محترما وبذلك وجب على المؤلفين أن يكونوا كتّابا حقيقيون ¹ ، فظهر مجموعة كبيرة من المبدعين الذين جعلوا من كتاباتهم نقطة أساسية في ازدهار أدل الخيال العلمي الأمريكي ودخوله في عصره الذهبي

في حين أن أدب الخيال العلمي أو مؤلفات أدب الخيال العلمي بكل مقاييسها لم تظهر في روسيا إلا في بداية القرن العشرين ، إذ تزامن هذا الوقت مع ظهور عدد من المؤلفات التي يمكن أن نصفها ضمن هذا الفرع ، " وقد شهدت العشرينات من هذا القرن وبتأثير جزئي من الكتّاب الأوائل الكبار للخيال العلمي الأمريكي وخاصة (أ. ر - بوروغس) ، تفتح الخيال العلمي السوفييتي الذي يعالج جميع المواضيع في آن واحد ، ولكن تيارا محددا تمتع بتشجيع السلطات وسار بسرعة أكبر وهو التيار الموروث عن جول فيبرن المتعلق بالرحلات الغربية حيث اشتهر أ. ر. بلاييف A-R-Belaiev (جول فيبرن الروسي) وقد ارتبط أسلوبه المبسط والتّعليمي مع ا لمؤسسة التربوية للّظام الجديد في روسيا ² ، إذ ساهمت شعبية بعض الأعمال الأدبية أو روايات أدب الخيال العلمي الأوروبية والأمريكية في شكل جزئي في ظهور أدب الخيال العلمي الروسي بكلّ معاييرها ، بعيدا عن كتابات الفنتازيا التي انتشرت في السوفييت سابقا ، غير أن هذه البداية لم تكن مزدهرة بما يكفي ، وذلك لارتكاز الأعمال التي نشرت في تلك الفترة على المواضيع التقليدية في زمن وصلت فيه الدول الأوروبية وأمريكا إلى مناقشة مواضيع أكثر جرأة .

وقد شكلت التّغيرات التي شهدتها روسيا بعد الحرب الباردة وما رافقها من ظهور إنجازات علمية عديدة ، بمثابة حركة قوية دفعت الخيال العلمي إلى الأمام ، بحيث " أن معظم الكتّاب المرموقين لأدب الخيال العلمي في فترة ما بعد الحرب كانوا أساسا إمّا من

¹ - ينظر : روبرت سكولز وآخرون ، آفاق أدب الخيال العلمي، ص66.

² - جان غاتينيرو ، أدب الخيال العلمي، ص51.

العلماء الممارسين، أو الصحفيين العلميين¹، ومن بين الأعمال التي برزت بعد ظهور الإنجازات العلمية والتكنولوجيا في روسيا نجد رواية (سديم المرأة) المتسلسلة لأديموف ، أما في ألمانيا فقد حضي أدب الخيال العلمي في هذا البلد بمكانته على الساحة الدولية بدءاً من عصر النهضة إلى يومنا هذا ، شأنه شأن الدول الغربية الأخرى ، إذ رافق هاته الفترة بروز تفكير عقلائي لما شهده العالم من تقدم تقني آنذاك مما جعل الكتّاب والأدباء يتوجهون إلى مواضيع أخرى تنطلق من محطات الواقع وصولاً إلى المستقبل ، فوجد الخيال لنفسه مكاناً أدبياً مكتملاً في هاته الفترة ، وقد ولد أول نوع مكتمل في هذا المجال في قصص المؤلف كورد لاسفيتز (1848 - 1910م) والتي نشرت عام 1897م، وقد شهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى والتي انتهت بهزيمة الألمان تراخياً في أعمال الخيال العلمي متأثرة بالعوامل التي تزامنت مع فترة الحرب ، غير أنه بعد فترة قصيرة عاد الإلهام إلى الكتّاب فظهرت عدة روايات مثل رواية ماكس فالييه التي عنونها برحلة هانز هارديت إلى القمر والتي طرحت سنة 1928م، وبعد الحرب العالمية الثانية والتي تزامنت مع فقدان العديد من نجوم أدب الخيال العلمي لمعت أعمال جديدة للكاتب هانز دومينيك وارتبط اسمه بالخيال العلمي الألماني نتيجة النجاحات التي حقّقها في هذا المجال ، والتي عكست الطّموحات الألمانية آنذاك وكذلك ظهر مجموعة من المؤلفين الشباب الذين تركوا بصمة في هذا المجال ، من بينهم لودفيج توريك الذي كتب رواية المجال الذهبي ، وفي أواخر القرن العشرين زاد الاهتمام بهذا الفرع ، إذ استيقظ الرأي العام على هذا الفرع نتيجة تحقّق نبوءات بعض أعمال الخيال العلمي ، ليدخل بذلك مجال السينما والمسرح والألعاب ، وتواصل ألمانيا مسيرتها إلى يومنا هذا موجهة أهدافها نحو الأفكار العلمية بأساليب مشوّقة ومرعبة أحياناً.

هذا وقد ظهر أدب الخيال العلمي في عدة أعمال عالمية أخرى تزامنت مع أعمال جول فيرن أب الخيال العلمي في فرنسا ، وجورج ويلز رائد الخيال العلمي في بريطانيا ، فمثلاً لو جئنا إلى الهند لوجدنا أنّ أول عمل أُدرج في الخيال العلمي كان سنة 1857م في الرواية

¹ - جون جريفس ، ثلاث رؤى لمستقبل أدب الخيال العلمي الأمريكي والبريطاني والروسي (السوفييتي)، ص70.

التي ألفها شكران بهرمان وعنونها بالسفر إلى المشتري ، والتي تحكي عن السفر بين الكواكب وإمكانية وجود عوالم أخرى وكائنات غير إنسانية تعيش في هاته العوالم، لتدخل الهند ضمن البلدان الأوائل التي عرفت أدب الخيال العلمي في وقت مبكر ، أما في اليابان فقد كانت الإنطلاقة الفعلية لأدب الخيال العلمي عند الكاتب "شونرو أوشيكاوا (1877-1914م) ، المعروف بكاتب اليابان الوطني الأول للخيال العلمي ، فقد كتب روايته السفينة الحربية تحت البحار في عام 1900¹ واعتبرت بدورها انطلاقة رسمية لأدب الخيال العلمي الياباني ، والملاحظ من العنوان أنها مقتبسة بعض الشيء من رواية عشرون ألف فرسخ تحت الماء ، ويذكر اليوم أن اليابان من أكبر الدول المنتجة لقصص الخيال العلمي في عصرنا الحالي.

2_ في العالم العربي :

من المعروف أن للعالم العربي إرث عريق يعود في الأصل إلى الحضارات القديمة ، وكل حضارة بدورها تركت بصمتها على الأدب كما تركتها في مختلف نواحي الحياة الأخرى ، كالهندسة ، والطب ، ومختلف العلوم الدينية والدنيوية آنذاك، ويشير الباحثين أن أغلب الأعمال الأدبية التي تعاقبت على الأمة العربية جيلا بعد جيل ضمن ما يُعرف بالأدب الشعبي ، والذي يُصنف كنوع أدبي خالص يدرج غالبا ضمن الأدب الخاص الذي يضم الخطب والرسائل والمقامات والقصص المتنوعة، والذي يأتي بعد الأدب العام الذي يشتمل على دواوين الشعر ، وكتب الفلاسفة وعباقره الفكر آنذاك، وغيرها من الأعمال الإبداعية الموروثة عن الحضارات السابقة مدونة كانت أم شفاهة ، ومن أبرز الأنواع الأدبية التي تركت تأثيرا بليغا في نفوس الأدباء ، هي تلك القصص الأدبية التي تمكنت من الإحاطة بالعوالم القديمة من تصوير للإنسان وما رافقه من تصورات كونية ومعتقدات دينية، وعلاقات مع الطبيعة وما رافقها من ظواهر كانت تبدو لهم غريبة، إذ لم يكن هناك تفسير علمي لها ،

¹ - محمود غنيم ، في عصر الفضاء، مجلة الفيصل، العدد 73، مركز الملك فهد للبحوث والدراسات الإسلامية، 1983م، ص112.

فكانت هاته القصص بمثابة المرآة التي تعكس الصورة الحقيقية للمجتمعات القبلية في صور متعددة ، كالقصص الأسطورية والخرافية والحكايات الشعبية الغرائبية التي تعتمد بدورها على وصف الأحداث السحرية والشخصيات الخارقة، هاته الحكايا تبرز تطلعات الإنسان ، وترسم حدود فكره وتعطي حلولاً للمشكلات التي يواجهها بأسلوب عجائبي عادة، فهي تخترق ما يعجز عنه البشر محاولة تحقيق أحلامه في سبيل الراحة ، مرتكزة في ذلك على تفعيل الخيال، وإذا قلنا أن هاته القصص كانت تشتمل على أفكار تدور حول البحث عن وسائل تسهل الحياة البشرية ، فتصبح القصص هنا مبنية على خيال علمي بأسلوب سحري رمزي يحيل إلى معاني عديدة، ونحن هنا لا نعم تلك القصص المبنية على الخوارق التي لا يوجد تفسير لها ، وعلى هذا الأساس ذهب بعض الباحثين في محاولة منهم لتأصيل أدب الخيال العلمي مؤكدين أن جذور هذا النوع من الأدب ترجع إلى تلك القصص الأسطورية القديمة التي حاولت أن توجه الإنسان نحو حياة أفضل ، وتعرفه على الكون الذي يعيش فيه بأسلوب سحري على شكل تشبيهات واستعارات مستمدة من الواقع ، أي تلك العناصر الخارقة الموظفة في القصص الأسطورية ما هي إلا رموز تدل على أشياء موجودة بالفعل ، وفي ذلك يقول الدكتور محمد عزام: "وفي قدرة العفريت الذي يمثل البديل الرمزي لعلم اليوم، فيغنى ويفقر ويضر وينفع، ويطير في الجو، ويختصر المسافات وينفذ من الجدران ويحقق للإنسان ما يعجز عن تحقيقه، ومثل هذه الخوارق التي اعتبرها إنسان ذلك العصر أحلاماً حققها الإنسان الحالي بالعلم والمعرفة"¹.

ويذهب أصحاب هذا الاتجاه أيضاً إلى الرأي القائل أن أول العلم حلم ، فأى نظرية علمية وأي رؤية أدبية مستحدثة في الواقع بدأت بخيال، وعليه فإن القصص الشعبية القديمة اعتبرت إلحماً الذي بني عليه هذا اللون الفني ، إضافة إلى اشتراكهما في بعض الخصائص الفنية والموضوعية ، فعادة ما اشتملت القصص الشعبية على مواضيع تشبه إلى حد كبير مواضيع أدب الخيال العلمي ، غير أنها محدودة التفكير والتعبير بما يتناسب مع معطيات

¹ - محمد عزام ، الخيال العلمي في الأدب، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، ط1، 1994م، ص17.

العصر الذي نشأت فيه ،ولا يمكننا أن نطلق اسم الخيال العلمي على تلك القصص لأنها لم تكن تحمل إلا منطلقات وإرهاصات بسيطة وردت بين صفحات أو أفكار تلك القصص الشعبية التي حفظها التاريخ ، ومن أبرز تلك القصص الشعبية التي لاقت بدورها نجاحا واسعا في الساحة الأدبية العربية والعالمية ، والتي لا يستطيع أي باحث أن ينكر ما حملته من قيم فنية وفكرية ، وشذرات أولى تدل على أن أدب الخيال العلمي العربي اتخذ من هاته القصص الشعبية منطلقا له وإن لم يكن هذا الفرع محددا كنوع له اسمه وأساليبه ومواضيعه من قبل العصر الحديث ، من هاته الأعمال نجد كتاب ألف ليلة وليلة الذي يضم مجموعة قصصية وحكايا شعبية مختلفة ، ويطلق على الكتاب أيضا اسم الليالي العربية، وتعود تلك القصص إلى القرون القديمة والوسطى وفكرة الكتاب تدور حول الملك شهريار المضطرب نفسيا يذكر أنه يعاني من كراهية شديدة للنساء لتعرضه للخيانة من إحداهن ، فأصبح يقتل كل فتاة تتزوج به إلا امرأة واحدة راهنت أنها ستعالج هذا الملك ، وكانت امرأة حاتة النكاء والفتنة ولديها معرفة في أخبار الأمم والشعوب فبدأت تروي له في كل ليلة قصة ولا تكملها إلا في اليوم الموالي فتترك الملك متشوقا لمعرفة النهاية ، فجعلته أسير هاته الحكايا، وبهذه الطريقة نجت شهرزاد من الموت، وأغلب هاته الحكايا يغلب عليها الطابع الفنتازي الذي يعتمد على الأفكار الخارقة والشخصيات السحرية ، غير أن هاته القصص احتوت بعض المواضيع التي تدخل ضمن مجال أدب الخيال العلمي ، ومن أبرز تلك الحكايا التي اعتبرت كنموذج بدائي لأدب الخيال العلمي العربي هي حكاية ((الحصان الأبنوسي)) ، تحكي القصة عن ملك له ثلاثة بنات وابن ، وعرف عنه كرمه ونبله وحبّه للفقراء وترحيبه بالغرباء، فكان لا يترك أحدا محتاجا أبدا، وفي يوم من الأيام زاره ثلاثة حكماء من بينهم حكيم فارسي جلب له هدية، هذه الهدية هي حصان صنع من خشب الأبنوسي وهو مرصع بالمجوهرات ومتقون في صنعه كل الإتقان مما يدل على ذكاء وحنكة الحكيم الفارسي، طلب من الملك أن يمنحه الحصان في مقابل تزويجه ابنته ، لكن ابنة الملك لم تكن راضية عن هذا الرجل القبيح إذ كان عجوزا في المائة من عمره ، يبدو أنه ساحر شرير ، ولما سمع

أخوها الوحيد قمر الأقمار لهذا الخبر قرر أن يمانع هذا الزواج ، فذهب إلى والده ليطلب منه التراجع عن هذا القرار لكنّ العجز الشّير كان هناك وبمكيدة منه أرسل الأمير في رحلة على هذا الحصان قصد تمويهه كي لا يعرف طريق العودة ولا يرجع إلى القصر، وفي النهاية يدرك قمر الأقمار سبيل الهبوط على الأرض ثم ينزل في مملكة بها أميرة اسمها شمس النّهار التي يختطفها الحكيم في رحلة على الحصان ، لكن بعدها يلقي القبض على الحكيم ويزجّ به في السّجن ليفوز الأمير في الأخير وينقذ أخته من هذا الزواج ، ويتحصّل على الأميرة شمس النّهار وكذلك على الحصان الأبنوس.

جانب الخيال العلمي في هاته الحكاية يتجلّى في الحصان الطائر الذي صمّم خصيصاً للطيران قبل اكتشاف الطائرات حديثاً.

وهناك قصة أخرى يرجع لها الفضل في البدايات الأولى لأدب الخيال العلمي العربي ، وهي قصة ((حي بن يقضان)) التي تروي حكاية الولد الذي يعيش في الطبيعة ، ويكبر على يد ضبية قامت بإرضاعه وحمايته فاعتقد أنها أمه ، ويجدر بالذكر أن حي بن يقضان استطاع العيش في الطبيعة من خلال الفطرة القائمة على الملاحظة والتجربة ، والتي مكنته أن يتعامل مع الطبيعة وقسوتها وما يحيط بها ، وهاته القصة تدخل في الإطار لفلسفي الذي يبحث عن علاقات الإنسان مع الطبيعة أو الكون بصفة شاملة، واحتوت هاته القصة على جوانب عديدة في شرح الأحداث ، والتوصل إلى بعض الوسائل من خلال التفكير العلمي والتأمل في الطبيعة .

وهناك من ينظر إلى أدب الخيال العلمي أنه لم يظهر في العالم العربي والحركة الأدبية لم تتعامل قط مع هذا الفرع ، وإن كانت هناك محاولات فردية فهي لا تعزى أن تكون أساساً أو منطلقاً رئيسياً لأدب الخيال العلمي العربي ذلك أن هذا الفرع لم يتطوّر أو ينشأ بفعل تطوّر تلك القصص، ويرجعون أنّ البدايات الفعلية لأدب الخيال العلمي في العالم العربي لم تظهر إلّا في العصر الحديث ، وبالضبط في نهايات القرن التاسع عشر أين انفتح العالم العربي على مختلف العلوم الغربية ، ولعلّ العامل الأساسي في ظهور هذا الجنس

الأدبي هي موجة الترجمة للمؤلفات الغربية على يد الكثير من الأدباء ،وقد كانت البداية كما يذكر الباحث محمد عبد الحنان مع رفاة الطهطاوي إذ يقول:" بدأ رفاة الطهطاوي 1873- 1801م ترجمة كتاب مغامرات تيلماك للكاتب فنلون تحت عنوان ((مواقع الأفلاك في وقائع تيلماك)) بين عامي 1851- 1854م وهذا أول كتاب عربي في الخيال العلمي"¹، وبذلك فتح العالم العربي عينيه أمام هذا الجنس الأدبي الجديد ، ليظهر بعدها مجموعة من الباحثين والّقّاد والمؤلّفين العرب الذين بدورهم انصّبوا على الأبحاث وكتابة الروايات لتعريف العالم العربي أكثر بهذا النوع، وقد لمعت عدّة نجوم في عتّة دول عربية من بينها نذكر:

أ_ في مصر:

سبقت الحركة الأدبية في مصر في التّعرف على هذا النوع في رواية وقائع تيلماك المترجمة على يد رفاة الطهطاوي، ثمّ ظهر جيل مبدع بعده ويذكر أنّ البداية كانت مع الكاتب" (مصطفى محمود)"² ، والذي يعتبر من أوائل كتّاب الخيال العلمي في العالم العربي - في العصر الحديث - في روايته الرائعة (العنكبوت) ، تتميّز هذه الرواية عن غيرها في استعماله للغة العلمية وهذا ما يميّز روايات أدب الخيال العلمي عن باقي الأنواع، وعكست الرواية أيضا جزءا من الحياة العلمية والعملية للكاتب لأنّه درس الطب وتخصّص في هذا المجال بعد تخرّجه ، وهذا ما يفسّر براعته في استخدام المصطلحات العلمية في هاته الرواية التي اعتبرت كإحدى الأعمال التي مهّدت لهذا الفرع في مصر.

ولكنّ التجربة التي قّمتها الأديب الروائي المصري **نهاد شريف** في مجال الخيال العلمي تعتبر فريدة من نوعها والكلّ يشهد له بذلك، يظهر ذلك من خلال ما خلفه من أعمال متنوّعة شملت مواضيع عديدة كالرحلات الفضائية والهندسة الوراثية وما إلى ذلك ، " ويعدّ نهاد شريف الرائد الأول في مجال كتابة أدب الخيال العلمي في مصر والوطن العربي وأول من

¹ - محمد عبد الحنان ، الخيال العلمي في الأدب العربي المعاصر، اطّلع عليه بـ <http://www.aqlamalhind.com> 2020/6/8م

² - مصطفى محمود ، من مواليد 1921م ألف ما يقارب 89 كتابا في مجالات متعدّدة، شغل مناصب عديدة، من بينها محرّرا في جريدة النداء، تحصل على جوائز عديدة من بينها جائزة الدولة التشجيعية سنة 1970م، في الأردن توفي سنة 2009م.

تخصّص فيه، وأول من قدّم الخيال العلمي عربيا في السينما والتلفزيون¹، إذ كرّس هذا الكاتب نفسه لهذا الفرع فأخرج أعمالا كثيرة في مجال أدب الخيال العلمي ولم يكتب في أي مجال آخر سوى في هذا الفرع، وغالبا ما عكست إبداعاته نظرته إلى الحياة الإنسانية والخوف لما سيؤول إليه العالم في المستقبل من زوال تام للبشرية، وغيرها من الموضوعات التي تسبح حول الخطر المحيط بالإنسان، وهي نفس المواضيع التي يكتب عنها في مختلف المجالات أما في مجال الخيال العلمي فتختلف الأساليب عن غيرها من الكتابات.

ومن أول روايات الخيال العلمي التي كتبها هي رواية (قاهر الزمن) 1972م، تدور فكرة الرواية حول إمكانية تبريد الجسم البشري لدرجة معينة تمنعه من الفناء ولا تتركه يتحلل أيضا، بغية إعادة الحياة فيه في فترة أخرى أو من أجل انتظار اكتشاف العلاج للأمراض المستعصية، إذ تمنعهم فكرة التبريد من الموت إلى حين إيجاد دواء لهاته الأمراض وهي من أهم الأفكار التي يسعى إليها علماء اليوم، وتدور أحداث الرواية حول طبيب اسمه حليم صبرون ومحاولاته في التغلب على الزمن ومن أجل ذلك سعى إلى اختراع جهاز من خلال تجارب سرية وغامضة بغية تجميد البشر للوصول بهم إلى أزمان لاحقة في المستقبل، وتتعلق فكرة الطبيب هذه من إحساسه بالعصر القادم العصر المليء بالتحديات، وأيضا للهروب من معاناة هذا العصر وذلك بإدخال البشر في سبات من خلال تبريدهم لفترة معينة، يبدأ الطبيب أبحاثه خفية على العالم لأن التجارب التي يقوم بها تعتبر خطرا على البشرية وجريمة يعاقب عليها القانون فجعل مخبره بعيدا عن أعين الشرطة، داخل فيلا مهجورة تقع في جبل: يقول الراوي: " كانت تتكوّن من طابق واحد يضمّ عددا كبيرا من الحجرات... وكانت الفيلا بكاملها تلتصق في سفح الجبل وكأنها تلتصق حمايته من الخلف"²، وهناك يلحق به شخص يدعى كامل بعد أن عمل بحوثا كثيرة عن هذا الطبيب ليقترّب منه ككاتب لأعماله، وبدأ رحلته الغامضة في اكتشاف ما يبحث عنه هذا الطبيب، تتوالى الأبحاث

¹ - سائر بصمة جي، موسوعة أعلام الخيال العلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت. ص182.

² - نهاد شريف، قاهر الزمن، دار الهلال، مصر، د.ط، 1972م، ص45.

إلى أن ينجح الطبيب في صنع الآلة التي جربها على ذئبة ، ليجربها بعد ذلك على رجل ، " لقد نجحت أول تجربة في الدنيا بأسرها لتبريد رجل حي فترة من الزمن ثم أعاده إلى سابق حيويته الطبيعية، لقد نجحت وستنجح بعدها تجارب كثيرة بفضل الدكتور المعجزة حلیم صبرون وبفخر واعتزاز كبيرين كونه أول من يسجل هذا الحدث التاريخي البالغ الأهمية..."¹ ، هذا ما ذكره كامل في تأريخه لأعمال الدكتور حلیم صبرون الذي أطلق على الجهاز اسم (حلیم 1) ، ومن خلال هذا الجهاز يستطيع تجميد المرضى وكذلك الباحثين والعلماء وحتى هواة السفر عبر الزمن ، ولعل أهم شيء هو " أن تحتفظ كل دولة بمجموعة من العلماء والخبراء والأخصائيين في أجهزة التبريد ليكونوا تحت طلبها في أي وقت تشاء وفي أي غرض من الأغراض"² ، بعدها يقوم الدكتور بتجميد عدد كبير من العلماء والأخصائيين ، سواء برضاهم أو مجبرين على ذلك، واحتفظ بهم في قاعة سماها (قلعة النائمين) وهكذا قهر الطبيب الزمن وصنع الآلة وأجل حياة الكثيرين إلى المستقبل.

حملت الرواية العديد من التصورات والأفكار حول المستقبل ، من بينها هل يمكن للعلم أن يصل إلى مرحلة يستطيع فيها جعل الإنسان في سبات بغية إنقاذه من أمراض عديدة؟ إذ يقول الدكتور حلیم عن هاته الفكرة : "التبريد سيكون في المستقبل لعلاج الأمراض الأمثل لكافة الأورام الخبيثة والالتهابات الحادة والقروح الباطنية والالتهابات الجلدية"³ ، نجد أيضا في الرواية فكرة مقاومة الإنسان لريح معركة البقاء، يذكر أن الرواية قد طرحت على شكل فلم سينمائي .

إلى جانب نهاد شريف لمعت أسماء كثيرة في هذا المجال ومن بينهم الأديب والكاتب رؤوف وصفي الذي قّم العديد من الكتابات في مجال الخيال العلمي ، من بينها نذكر: الكون والثقوب السوداء، قصص من الخيال العلمي، المارد المعدني، مغامرة في القرن 25، رحلة إلى المستقبل، وغزو من عالم آخر.

¹ - نهاد شريف ، قاهر الزمن ، ص119.

² - المرجع نفسه ، ص129.

³ - المرجع نفسه ، ص123.

ومن بين الكتاب المشهورين في مصر الذين كتبوا في مجال أدب الخيال العلمي نجد: أمينة خفاجي، نبيل فاروق، أحمد خالد، أحمد سويلم، ومحمد العشيري... وغيرهم كثيرون.

ب_ في سوريا:

ظهرت نخبة من الكتاب والمؤلفين الذي كتبوا في هذا المجال ، وربما أول ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر أدب الخيال العلمي في سوريا هو الكاتب طالب عمران 1948 م ، والذي يعتبر من أبرز رواد أدب الخيال العلمي في العالم العربي لكونه كاتباً روائياً وناقداً وباحثاً في نفس المجال ، وله عدة روايات وقصص وفصول نقدية في كتب عديدة ومجلات متنوعة ، ويذكر أن طالب عمران بدأ الانخراط والتأليف في هذا المجال في سن مبكرة ، ويعتبر اختلاطه بالأدباء والكتاب من أبرز العوامل التي دفعته للتأليف.

من بين المواضيع التي عالجها في مجال الخيال العلمي هي تجرد الإنسان من قيمته في المستقبل ليصبح كآلة مجردا من جميع القيم الإنسانية ، وهذا ما نجده في روايته المعنونة ب(الأزمان المظلمة) ، وهي عبارة عن تصور للعالم القادم الذي بدأت ملامحه في الظهور ، تدور أحداثها في المستقبل وتحكي عن القوة العظمى التي تبدو ظاهرياً أنها قوة تسعى لتطوير العالم ككل ، لكن باطنياً لها أهداف لا تمتد للإنسانية بصفة ، تبرز الرواية القيم الإنسانية المبنية على الحقد والكراهية وسيادة المال والتجرد من كل مساعي الإنسانية نحو الخير ، ليصبح الشر مسيطراً على كل شيء وهو ما يشهده عالم اليوم بالفعل ، تبدأ أحداث الرواية مع رجل اسمه قاسم يعود إلى الوطن بعد عشرة سنوات من الغربة" وكله أمل و تفاؤل بالمستقبل، متهيناً ليوطف إمكانياته العلمية في خدمة البلد"¹ ، غير أن الأحداث تأخذه عكس توقعاته بالكامل ، وعند نزوله من المطار يتعرف على شخص أمر بنقله إلى مكان ما عرف فيما بعد أنها جمعية مغلقة اسمها (البناءون الأحرار) تعمل تحت حكم رجال من السلطة ويرغمونه للعمل فيها ، تتوالى أحداث الرواية ليجد قاسم نفسه متورطاً في تلك الجرائم التي

¹ - طالب عمران ، الأزمان المظلمة ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 2003م ، ص07.

كانت تأمره الجمعية في تنفيذها ، والتي كانت خالية أبدا من الإنسانية ولم يجد سبيلا للخروج منها ، يقول الراوي في مقطع من الرواية: "شعر قاسم أنه يغوص في كابوس مريع (...)"، أمعقول أن تسير حياته في هذا الاتجاه المخيف؟ لم تمض أيام على مجيئه، وهو متورط إلى أذنيه في قضايا اعتبرها مزحة في البداية، ثم بدأ يستشعر خطرها ولكن بعد فوات الأوان (...). أما الآن فهو ينقل أوامر من الكبار للتدمير والحرق والتخريب"¹ لم تكن الجمعية تهدف للبناء أبدا بل كانت تسيطر على كل شيء باستخدام العنف والجرائم، ولم يكن قاسم المتورط الوحيد في هاته الجمعية بل هناك العديد ممن تورطوا تحت الضغط مثلما حدث معه، تأخذ الأحداث منحى آخر بعدها يتجه صوب شخصية هاني الطبيب المشهور زوج أخت قاسم ، لتبدأ حكايته مع الأحلام أين يجد نفسه في عالم غريب يسوده الشر ويتعرف على فتاة اسمها أمينة تروي له معاناتها واستغلالها من طرف القوة المتفردة التي تسيطر على العالم التي كانت تستغل بحوثها ، يتعرف هاني على سالي لاحقا ثم يرجع الراوي ليسرد قصة قاسم مع سالي اللذين هربا من تلك المنظمة السرية التي تسيطر على العالم، والتي ضلت تلاحقهما إلى حين القبض على شخصية قاسم أين تم تعذيبه ومحاكمته، أما سالي فتتجو من كل هذا وتقيم في بيت هاني مع زوجته زهرة أخت قاسم ، تستمر معاناة قاسم في التعذيب ، ولم يعلم أن سالي قد أنجبت منه صبيا ، استطاع قاسم أن ينجو من تلك المعاناة بمساعدة مع الطبيب الجراح بيتر ، وجون أحد الطلبة الذي كان يدرسهم ، عاد قاسم إلى بلده ليلتقي بعائلته وابنه صاحب 14 عاما لينهي الراوي روايته بـ: "عجلة الزمن تدور وتدور في قرن بدأ بالعنف، واستمر العنف يتزايد مع طغيان قوة عظمى جبارة استعبدت الدول والبشر وعاشت في الأرض فسادا حتى أتت مراحل إنهيارها البطيء..."² .

وظف الكاتب العديد من الرؤى العلمية التي تنتمي إلى المجال الطبي كزرع الأعضاء وتجاريتها ، والفيروسات التي تهدد حياة البشر ، إضافة إلى السجون التي تستغل للتجارب

¹ - طالب عمران ، الأزمان المظلمة ، ص50.

² - المرجع نفسه ، ص 431.

العلمية بأسوأ الأساليب ، ويذكر أن الرواية من أبرز أعمال أدب الخيال العلمي في العالم العربي .

ج _ مختصر الدول العربية :

لم يقتصر ظهور أدب الخيال العلمي في مصر وسوريا فقط بل اجتاحت العالم العربي ككل ، فنجد في الكويت الكاتبة القديرة طيبة أحمد الإبراهيم (1945م-2011م) التي اعتبرت من الأوائل الذين كتبوا في هذا الفرع الأدبي في العالم العربي ، ومن بين كتاباتها التي لاقت نجاحا كبيرا في الساحة الأدبية هي رواية (الإنسان الباهت 1986م) ، التي احتوت فكرة تحمل نبوءة عن أطفال الأنابيب ، وفي السعودية أيضا لحقت موجة الخيال العلمي ببعض الأدباء والمؤلفين ، ولعل أبرز الكتاب الذين أبدعوا في هذا المجال هو الأديب أشرف الفقيه من بين أعماله في هذا المجال (نّف وعشرون حياة) ، أما في الأردن فنجد الروائي سليمان محمد خليل الذي اقتحم مجال أدب الخيال العلمي بجرأة في روايته التي عنونها بـ(السمندل) ، والتي وظف فيها فكرة الاستنساخ وتداعي التطورات العلمية على المجتمع البشري ، وفي موريتانيا برز الأديب والروائي موسى ولد إينو بمجموعة قصصية متنوعة بين الخيال العلمي الممزوج بالرؤى التاريخية والفلسفية أحيانا، ومن أبرز أعماله رواية(مدينة الرياح) ، والتي صنفت من أفضل مئة رواية عربية في القرن العشرين .

الجزائر هي الأخرى عرفت هذا الفرع بظهور مجموعة من الكتاب ممن خاضوا تجارب الكتابة عن المستقبل ، ودخلوا بذلك إلى هذا الجنس الذي اعتبر غريبا ولا يزال غريبا على الساحة الأدبية والأكاديمية الجزائرية ، وذلك لأن هاته الأعمال والمؤلفات لا تعدو أن تجعل الأدب الجزائري ضمن لائحة البلدان العربية المتصدرة في هذا الفرع، ونحن هنا لا نقلل من تلك الأعمال التي كتبها البعض من الدكاترة والمؤلفين الجزائريين أمثال حبيب مونسي، نبيل داودة، إضافة إلى الكاتب والأستاذ الجامعي الذي له دراسات عديدة في هذا الفرع وهو الدكتور فيصل الأحمر الذي اعتبر أن الخوض في هذا المجال يتطلب شجاعة إذ يقول : " أن تكتب رواية خيالية علمية معناه أن تتحلى بشجاعة وجرأة معينة ، لأن ما يتخيله الواحد

منا حول شكل المستقبل غالبا ما يأتي المستقبل ليظهر سخافته وضعف مخيلة صاحبه (...)، والعزاء الوحيد للكاتب الذي يصبح مضحكة هو أنه غالبا ما يكون ميتا غارقا في واقع البرزخ وما بعد القبر من واقع!!¹ ، وفعلا الخوض في مجال أدب الخيال العلمي يعتبر شجاعة لأن الزمن يتغير وتتغير معه النظرة للأشياء ، لكن المواضيع ستبقى حقا ولا نعتقد أن الأديب سيصبح مضحكة في يوم ما كما ذكر دكتور فيصل الأحمر ، فمهما كانت أفكاره جيدة أو رديئة ، سيبقى دائما الوسيلة التي عكست المجتمعات القبلية للمجتمعات القادمة كما ستشكل موروثة ثقافيا أدبيا لأجيال قادمة .

لقد عرفت الساحة الأدبية العربية هذا الجنس مؤخرا رغم تلك المحاولات الأولى التي لم تكتمل كنوع يدرج أساسا في أعمال أدب الخيال العلمي، ويرجع الباحثين هذا التأخر إلى الافتقار إلى التطور العلمي في الساحة العربية ، مما أدى إلى ضعف في النظرة العلمية للعامة ككل بما في ذلك الأدباء الذين كانوا يكتبون في مجالات عديدة ، إضافة إلى التأخر في الاحتكاك بالحضارة الغربية ونقص الترجمة ، والكتب التي كانت تترجم كانت توضع في بلدان فقط وليس في جميع البلدان العربية ، و تأخر ظهور هذا الفرع في الساحة الأدبية العربية يرجع في الأغلب إلى هاته الأسباب .

ثالثا : خصائص وموضوعات أدب الخيال العلمي

1 _ الخصائص :

أ _ طبيعة الموضوع :

بطبيعة الحال فإنّ مواضيع أدب الخيال العلمي تختلف كلّ الاختلاف عن مواضيع الفروع الأخرى ، وهذا الاختلاف مكّنها أن تضع لنفسها مكانا خاصا في الساحة الأدبية بعيدا عن تلك الأنواع الكتابية الأدبية المتنوّعة، ويظهر هذا الاختلاف جليا في الأفكار التي يعالجها كتّاب هذا الجنس الأدبي ، والذي انطلق عموما من مفاهيم التطور العلمي قديما

¹ - فيصل الأحمر ، حادثة الخطاب في أدب الخيال العلمي الجزائري ، جامعة جيجل ، الجزائر ، ص 190.

وحديثاً كالتّطريات التي تبحث عن ماهية وتطوّر الجنس البشري مثل النظرية الداروينية، أو تلك التّطريات التي بنيت على مفاهيم كونية وطبيعية ، ومن هنا ظهرت مواضيع الخيال العلمي لتسير هي الأخرى في منحى التّنوّات المبنية على القواعد والمفاهيم العلمية لتجعل من هاته الأخيرة قاعدة أساسية لها ، وبواسطتها تصل إلى التطوّر المحتمل المبني على الخيال انطلاقاً من تسليط الضوء على جانب من جوانب الحياة وصولاً إلى ما يمكن أن يكون في المستقبل ، سواء في العالم البشري أو العوالم البعيدة (كالكواكب الأخرى) ، وغالباً ما تتطرق مواضيع أدب الخيال العلمي من تساؤل عن عواقب معيّنة للتّقدم العلمي لتغوص بذلك في المشاكل التي تهدّد حياة البشرية والطّبيعية ككلّ ، مثل التلوث البيئي ، أو التلاعب الجيني الذي يدخل في مجال الهندسة الوراثية ، أو الحرب النووية التي ستؤتي إلى زوال البشرية ، أو الغزو الفضائي لكائنات غريبة ، إذ تصوّر مواضيع الخيال العلمي مجالات خارجة عن الطّاق لا يمكن أن ندرك صحّة وقوعها حالياً

بـ البيئة الزمكانية:

يتشكل الزمن غالباً في ثلاثة اتجاهات ماضي وحاضر ومستقبل ، هاته الاتجاهات تشكّل جسر عبور يمر الإنسان فيه بين الماضي والمستقبل ، وهو ليس بالشئ المادي أو المحسوس ، بل هو مظهر نفسي متأصل في حياة الإنسان منذ خلق على وجه الأرض، وقد تعددت تعريفات الزمن ، فمثلاً نجد تعريف الناقد عبد المالك مرتاض إذ يقول: "الزمن مظهر وهمي يزمن الأحياء والأشياء فتتأثر بماضيه الوهمي غير المرئي، غير المحسوس، والزمن كالأكسجين يعايشنا ككل لحظة من حياتنا، وفي كل مكان في حركتنا غير أننا لا نحس به، ولا نستطيع أن نلمسه ولا أن نراه ولا أن نسمع حركته الوهمية على كل حال"¹ ، ويقول أيضاً: "الزمن عبارة عن خيط وهمي مسيطر على كلّ التصورات والأنشطة والأفكار، لا ينبغي له أن يتجاوز ثلاث امتدادات كبرى: "الامتداد الأول ينصرف إلى الماضي، والثاني

¹ - عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، العدد 204، مطابع الرسالة، الكويت، د. ط ، 1998م، ص172.

يتمحض للحاضر، والثالث يتصل بالمستقبل¹ ، وبما أن هذا الفرع يتميز بالتنبؤ فبطبيعة الحال أن الزمن المعتمد هنا هو زمن المستقبل ، ولبناء هذا المستقبل يجب أن يكون هناك إدراك للحاضر الذي لا ينفصل على الماضي، فبدون ماضي لا يوجد حاضر ، وكما سبق وذكرنا أن رواية الخيال العلمي تنطلق من معطيات الواقع وصولاً للمستقبل ، فهي بذلك تستغل الزمن في مفهومه الشامل وأبعاده الثلاثة بشكل نسبي وصولاً إلى أبعد نقطة زمنية مستقبلية قد تصف مستقبل المستقبل.

أما المكان الذي يعتبر عنصراً مهماً في العمل الروائي فقد لعب دوراً بارزاً في كتابات الخيال العلمي ، فهو يعتبر ركن أساسي في كل الكتابات السردية وذلك لتحديد خيوط العمل الدرامي ككل وتحديد علاقات الأشخاص في ذلك المحيط الذي صنعه القاص والمكان في رواية الخيال العلمي له أبعاد كثيرة ، فالمكان المرسوم داخل أحداث الرواية غالباً ما يكون غريباً لأنه عبارة عن أمكنة لم تكتشف بعد ، مثل مواضيع الخيال العلمي التي تعنى بفكرة الفضاء والعوالم الأخرى ، وليس هذا فقط بل يصور الكاتب أمكنة موجودة بالفعل وما ستصبح عليه في المستقبل، وهذا يتعلق بالبعد الجغرافي ويوظف الكاتب أيضاً المكان المتعلق بالبعد التاريخي الذي لا ينفصل بدوره عن الزمن، وإذا قلنا أن الزمن في رواية الخيال العلمي هو زمن مختلط بين الماضي والحاضر والمستقبل فإن المكان في رواية الخيال العلمي غالباً ما يتعلق بهاته الأزمان الثلاثة ، وتلعب هاته الأمكنة الدور الأساسي في حركة الأحداث انطلاقاً من الأمكنة الموجودة وصولاً إلى الأمكنة الخيالية، وأحياناً تبنى الرواية على أمكنة واقعية بالفعل، وعليه فإن رواية الخيال العلمي تأخذ المكان بمفهومه الشامل أيضاً ، ومن خلال ما سبق ذكره ندرك أن البنية الزمانية والمكانية في رواية الخيال العلمي مفتوحة على كل الأبعاد ، لأن الفكرة التي يؤسس عليها موضوع الخيال العلمي لا تكون مرتبطة أو مقيدة بزمان أو مكان بخلاف بعض الأعمال الروائية الأخرى.

¹ - المرجع نفسه ، ص173.

ج/ الشخصيات: وتعتبر الشخصية محورا أساسيا في أي عمل سردي بما في ذلك رواية الخيال العلمي التي تتنوع شخصياتها بتنوع مواضيعها ، حيث اشتغل الروائيون المختصون في مجال الخيال العلمي على عنصر الشخصية بعناية ، كونها الوسيلة التي تعكس فكرة الكاتب التي يريد إيصالها ، ومنحت الشخصية في روايات الخيال العلمي أبعادا جديدة امتزج فيها الواقعي بالعجائبي شمل المظهر والأسماء والتصرفات وما إلى ذلك ، وللشخصية في روايات الخيال العلمي أبعادا تربطها بالزمن كالتطور البشري أو بعض الأفكار العلمية المستقبلية التي تنتج عنها أشكال بشرية جديدة مستقبلا ، كما ترتبط الشخصية بالمكان مثل الكائنات الغريبة التي تعيش في الفضاء ، كما لها أبعاد اجتماعية ونفسية تربطها بالمجتمع الذي يحيط بها ، تذكر الباحثة مها مظلوم أن شخصيات الخيال العلمي " هي شخصيات اسمية أو رقمية غير مكتملة الهيئة النفسية والجسدية"¹ وهذا ما يشكل غرابة لدنيا في التصور الحقيقي لهاته الكائنات .

د- اللغة: تبدو اللغة المستعملة في روايات الخيال أنها مجرد وسيلة تبليغية يسعى الكاتب من ورائها لإيصال معنى أو فكرة معينة إذ تعتبر الأداة التوضيحية الوحيدة في كتابات الخيال العلمي التي تحتوي على رسوم وخرائط توضيحية ، وهذا يعتبر من أهم نقاط الاختلاف بين اللغة الموظفة في هذا الفرع وبين الكتابات الأخرى ، وقد ذكر الدكتور محسن الرملي على أن اللغة في رواية الخيال العلمي هي لغة " تبسيطية ومباشرة ومقتصدة، وهذا الأمر يعد من أهم نقاط الاختلاف والافتراق بينها وبين الأدب الخالص عموما، "² ، وما يميز اللغة المستعملة في رواية الخيال العلمي هي استخداماتها للغة المخترعة ، أي استعمال بعض المصطلحات المستحدثة التي لا تحمل أي دلالات قديمة كأسماء الروبوتات والكائنات الفضائية إضافة إلى استخدام اللغة العلمية ، وقد تتصف هاته اللغة " بالغرابة إن لم يكن

¹ _ محمد أحمد مصطفى ، أدب الخيال العلمي الراهن والمستقبل ، مجلة فصول النقد الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، عدد71، 2007م ، ص84.

² - محسن الرملي ، رواية الخيال العلمي ، مجلة شؤون ثقافية، العدد 31، ليبيا، 2016م، ص28.

القارئ يملك زادا معرفيا منها ، أو لم يكن المؤلف قادرا على توضيحها" ¹ ، وهنا تكمن الصعوبة في فهم القارئ العام لهذا النوع من الكتابات .

هـ_ التقنية: إن أغلب التقنيات التي تحتاجها رواية الخيال العلمي لا تختلف كثيرا عن تلك الفروع الكتابية السودية الأخرى ، فقد استفادت من تقنيات الروايات الفنتازية التي سبقتها، لذا فهي لم تتردد بضمها لاحقا تحت جناحها بعد إجراء بعض التعوّات عليها، إلا أن الاستفادة الأكبر والأوسع انتشارا ، هي تلك التي تأثرت وجاءت مستمدة من تقنيات الرواية البوليسية وحبكتها المسحوبة بعناية والهادفة للتشويق وشد المتلقي" ² ، وأغلب التقنيات التي ينتهجها كتاب الخيال العلمي هي: بناء الرواية على التطورات العلمية والتكنولوجية التي تجذب انتباه المتلقي ، أو على تلك المخترعات التي لا تزال ضمن البحث ، فيعطي كتاب الخيال العلمي نظرة عنها ويستطيع من خلالها توظيف فكرة جديدة.

_ يضمن كتاب الخيال العلمي رسالة للمتلقي في أعمالهم لذلك ، فالكاتب يتيح إيصال هاته الرسالة بدءا من كتابته للمقدمة والتي يجعلها عادة كمحور للرواية ككل.

_ تستند رواية الخيال العلمي إلى الواقع لتصل إلى عوالم مجهولة.

_ إستخدام جيد للغة الممزوجة ببعض المصطلحات الجديدة والمبتكرة

_ البيئة توضّح بدقّة في أعمال الخيال العلمي وذلك لجعل المتلقي ينغمس داخل البيئة ويعيش مع شخصياتها وبذلك يوفر عالما أكثر تشويق وإثارة.

وهناك تقنيات كثيرة تعتمد عليها رواية الخيال على غرار التقنيات المذكورة يجب على الكاتب الإلمام بها ، لكي لا تحدث له خلخلة داخل رواية الخيال العلمي فتصبح مختلطة مع بعض الأجناس الأخرى ، كرواية الرعب والرواية البوليسية والأسطورة وما إلى ذلك.

¹ _ بوشعيب الساوري ، الخيال العلمي في الرواية المغربية الانشغالات والخصوصيات ، مجلة فصول النقد العربي عدد 71، ص 59.

² - محسن الرّملي ، رواية الخيال العلمي (خصائصها إشكالياتها وأسئلة المستقبل)، ص 28.

2_ مواضيع أدب الخيال العلمي:

أ_ رحلات إلى الفضاء:

مع التطور التقني الذي شهده العالم في العصر الحديث و المعاصر أصبح من الممكن إرسال الآلات ثم الحيوانات ثم البشر فوق الغلاف الجوي للأرض، صعودا إلى الفضاء الخارجي ، ولكن قبل وقت بعيد لم تكن هاته التكنولوجيا ممكنة إلا في روايات أو قصص الخيال العلمي ، وربما كان السبب الرئيسي لكتابة هاته المواضيع في تلك الفترة هو استحواذ فكرة اكتشاف الفضاء على عقول العديد من الناس ، في طبيعة الحال حتى في وقتنا الحالي إذا نظر أي شخص في القمر أو النجوم يتساءل عن تلك العوالم البعيدة وما يوجد فيها ، غير أن روايات الخيال العلمي فتحت المجال أمام رغبتنا هاته لتعرفنا بدورها عن تلك العوالم و بطريقة علمية خيالية أقرب من الواقع ، ويعد موضوع السفر إلى الفضاء من أكثر مواضيع الخيال العلمي انتشارا وذلك بعد موضوع اختراق الزمن أو السفر عبر الزمن .

إن " إحدى أوليات الصور التي ترتبط لدينا بالخيال العلمي هي سفينة الفضاء ، وإحدى أوليات الحكايات التي نتوقعها هي الرحلة إلى الفضاء التي أتاح مداها غير المحدود نطاقا لخيال الروائيين منفصلا عن الواقع"¹ ، وبذلك فتحت العديد من الأفكار التي بنى عليها مؤلفي الخيال العلمي أفكارهم حول هذا الموضوع ، كأفكار الاستكشاف أو المغامرات أو غزو الفضاء بحثا عن عالم تستطيع البشرية العيش فيه ، أو أوبرا الفضاء الذي يدخل أيضا ضمن هذا الموضوع ، وغالبا ما تبدأ أحداث هاته الروايات بسفر علماء من الأرض نحو الكواكب الأخرى لتتعلق الأحداث المرتبطة بالاستكشاف بعد ذلك ، وقد ظهرت كتابات عديدة في هذا المجال تصور السفر إلى الكواكب البعيدة ومن أبرز هاته المؤلفات في العالم الغربي نجد ، رواية جول فيرن المعنونة ب (من الأرض إلى القمر) ، والتي تعتبر من أهم الأعمال الأدبية في هذا السياق ، تحكي الرواية عن قذيفة تطلق إلى الفضاء هاته القذيفة مصممة على شكل مركبة فضائية تحمل الاحتياجات الأساسية إلى جانب الشخصيات المسافرة ،

¹ -ديفيد سيد ، الخيال العلمي مقدمة قصيرة جدا، ص11.

ونجد أيضا رواية (أوائل الرجال على القمر) لويلز والتي تحكي عن رحلة إلى القمر يقوم بها رجلان ليكتشفا الحضارة المتطورة على القمر و المخلوقات الغريبة التي تعيش هناك ، " وقد جعل ويلز اللقاء بين أهل الأرض و سكان الكوكب الآخر صداميا ، فأهل الأرض يغزون كوكبا آخر ،ويشتبكون مع سكانه في حرب تدميرية يستولون فيها على الكوكب الجديد، ليعمره ، أو أن سكان كوكب آخر يغزون الأرض فيبيدون الإنسان ليستعمروا الأرض، ومثل هذه الرؤية ليست إلا الشكل الحديث لغزو الممالك الأرضية"¹ ، ولم تقتصر الرحلات الفضائية على كوكب القمر فقط بل امتد خيال الكتاب إلى كواكب أخرى موجودة علميا وكواكب من صنع الخيال لم يتوصل العلم إلى اكتشافها ، ومن بينها نجد رواية إدغار آلان بو (تحت قمر المريخ) ، والتي تحكي عن بطل يعيش إلى مالا نهاية ، وفي كل حياه يعيش مغامرة جديدة على كوكب المريخ ، وهناك رواية أخرى تحت عنوان (تاريخ المريخ) للكاتب راي براد ، تحكي عن محاولات الإنسان للتمكن من العيش على هذا الكوكب ، و كوكب الزهرة أيضا كان له نصيب من هاته الأعمال ، وذلك في رواية (لوريلة القادمة من الضباب الأحمر) لراي براد " تناول فيها الجانب البطولي وتحدث عن كوكب الزهرة بروح أسطورية"² المشتري أيضا حظي باهتمام بعض الكتاب "فأطلقوا مركباتهم الفضائية إليه كما فعل العالم الأمريكي آرثر كلارك المختص في علم الفلك، في الفيلم الذي كتبه (أوديسة الفضاء في عام 2001)، حيث انطلقت مركبة فضائية من الأرض إلى كوكب المشتري ، تحمل خمسة رواد من البشر وإنسانا آليا مزودا بعقل إلكتروني بقوة تسعة آلاف وحدة ذاكرة يستطيع القيام بكافة أعباء الإنسان"³ .

(إلى الكون) مجموعة قصصية لفان فوغت ، تحكي عن رحلة فضائية إلى كوكب سنستورس تحكي عن رحلة يقوم بها بعض العلماء إلى هذا الكوكب بعد نوم دام مئة عام بسبب تناولهم لدواء الخلود ، واكتشافهم بعد ذلك لبعض الأحداث التي كانت تجري في

¹ - محمد عزام ، الخيال العلمي في الأدب، ص63،64.

² - المرجع نفسه ، ص66.

³ - المرجع نفسه ، ص67.

الأرض آنذاك أي بعد مئة عام التي ناموا فيها ، و من الكواكب البعيدة التي لا تحمل اسما كما ذكرنا سابقا نجد قصة (مسألة ضمير) لجيمس بلش ، وصف الكاتب كوكبا بعيدا " تسكنه مخلوقات نصف زاحفة تتمتع برقعة وذكاء فائقين، وحين تحط البعثة العلمية الأرضية التي يترأسها قسّ كاثوليكي، على سطحه، تواجه بمخلوقات في منتهى الطيبة"¹ ، كتاب العالم العربي أيضا فتنوا لموضوع الرحلات الفضائية ، فظهرت كتابات كثيرة في هذا الموضوع من بينها نجد: نص مسرحي بعنوان (شاعر على القمر) لتوفيق الحكيم ، تحكي على ثلاثة أفراد يقومون برحلة للقمر رائدا فضاء وشاعر، يلتقي الشاعر بالكائنات القمرية فيدور بينهم حوار لا يسمعه رائدا الفضاء ويقوم خلاف بين الرائدان والشاعر بعد حصولهما على صخور ماسية واحتكارها لدولهم ، لكن الشاعر كان يلح على أن تبقى الكنوز في مكانها وتستمر الأحداث ، وتساعد الكائنات القمرية الشاعر في النهاية، ومغزى الرواية يدور حول البحث عن العدل والسلام في كوكب الأرض.

كتب طالب عمران مجموعة قصصية حول موضوع السفر إلى الفضاء كلها دارت حول مساع أخلاقية وسلمية تبحث عن سبل الأمن والراحة للبشر، ومن أعماله الروائية نجد رواية (خلف حاجز الزمن) ، أين يصور الكاتب فيها رحلة الباحث على سفينة فضائية تحط به على كوكب مجهول يشبه الأرض بعد رحلة طويلة ، وعند وصوله لهذا الكوكب يستقبل بالترحيب من بعض الكائنات هناك ، وتخبره بأن لا خطر عليه إن نزع جهاز التنفس ، ترافقه فتاة لتعرفه على مدينتهم العلمية المتطورة بأضعاف على الإمكانات العلمية الموجودة على سطح الأرض ، يواصل رحلته برفقة الفتاة التي تحكي له عن الخطر الذي واجههم من بعض المخلوقات، يقع هذا الباحث في حب الفتاة ثم يرسلون إلى كوكب اسمه قمر الحب ، يتعرض هناك لسيطرة من كائنات غريبة تحاول أن تستعمله في خدمة الشر و في النهاية يرسل الباحث في مركبة إلى الأرض .

¹ - محمد عزام ، الخيال العلمي في الأدب ، ص68.

أعمال الخيال العلمي التي تتدرج في هذا الموضوع لاقت نجاحا واسعا لاشتمالها على عنصر الإثارة و التشويق ، ولعل العامل الآخر الذي جلب القراء إليها هو حب استكشاف الفضاء ، فالقارئ هنا يجد نفسه في القمر وفي المريخ وفي مختلف الأماكن التي لم يستطع الوصول إليها بمخيلته ويذكر أن العديد من هاته القصص ترجمت إلى أفلام سينمائية على غرار المواضيع الأخرى التي دخلت مجال السينما.

بـ السفر عبر الزمن :

نشأت هاته الفكرة عندما تحرر الانسان من عالم المنطق بحثا عن ما وراءه ليجد نفسه أمام ألغاز ميتافيزيقية لا يزال إلى اليوم يحاول تفسيرها ، و قصص الخيال العلمي في هذا الموضوع ببساطة هي تلك القصص التي تدور أحداثها في الانتقال إلى الماضي أو ما وراء الوقت في الوقت المناسب ، أو السفر إلى المستقبل باستخدام أجهزة مخصصة لذلك ، وغالبا ما يلجأ الكاتب إلى مثل هاته المواضيع من أجل نقل وجهة النظر من وإلى أي مكان وزمان آخر ففتتح أمامه الاحتمالات السردية للخلف أو للأمام ، وعلى هذا النحو يجد نفسه داخل صلب الموضوع أمام رواية أو قصة سفر عبر الزمن ، وتحتاج قصص الخيال العلمي في هذا الموضوع إلى التعامل بشروط خاصة وفق نظريات نسبية كي لا تقع في فخ عدم التناسق وعدم القابلية للتصديق ، وتجدر الإشارة أن هاته الفكرة لا تزال إلى اليوم مجرد فكرة نظرية صعبة التطبيق ، لذلك غالبا ما يعاني هذا النوع من عدم التصديق أو الحكم عليها أنها قصص أسطورية ، " و يمثل السفر عبر الزمن فكرة رئيسية جميلة للثراء للخيال العلمي ، تتيح إمكانيات هائلة ليس فقط لابتكار خطط لقصص جديدة ولكن كذلك للتأمل أساسا في طبيعة الزمن بل في الحقيقة ، علاوة فإن التناقض في الإدراك الذي يحدث عن طريق النقلة الفجائية من مرحلة زمنية إلى أخرى يجعل من أسلوب السرد الصيغة النموذجية لقصص الخيال العلمي ، كذلك تسمح فكرة السفر عبر الزمن لمجالات رحبة لروح الدعابة والفكاهة

وتتيح لهذا الفرع من القصص - بوجه خاص - تنوعا عريضا¹ ، فلطالما راودتنا أفكار حول ماذا لو استطعنا الرجوع الزمن الماضي؟ أو ماذا لو كان هناك جيل يعيش في المستقبل حاليا كيف هي الحياة هناك؟ معظم الناس تتراود عندهم هاته الأفكار ، ولا تزال فكرة السفر عبر الزمن من أحد الألغاز الميتافيزيقية التي تدور في ذهن الكل ومحبي هذا النوع خاصة ، ويرجع ذلك لتعدد الرؤى حول هذا الموضوع الذي يذهب تارة بنا إلى الماضي وتارة أخرى يطير بنا إلى المستقبل منطلقا في كلتا الحالتين من الزمن الحاضر .

إن أغلب المدافعين عن هاته الفكرة أو المتأثرين بها يستدلون بالنظرية النسبية القائمة على إضافة الزمن كبعد رابع للمكان بمحاذاة الأبعاد الثلاث ، ترى هاته النظرية أن الزمن دائما يربط بالمكان ، وتبقى هاته الفكرة مجرد تخمين كلاسيكي فالزمن كما نعرفه وعلى حسب ما هو متفق عليه ، هو مقياس لسرعة الحركة في مكان ما فقط كقياس مسافة الوصول من مكان إلى مكان ، ومن هنا يتبين لنا أن الأفكار الموجودة داخل قصص الخيال العلمي والتي تدور حول هذا الموضوع ستبقى مجرد فكرة نسبية إلى أن يتم إثباتها علميا ونحن لا نعلم ما يخفيه الزمن مستقبلا ، وعليه فإن قصص الخيال العلمي من السفر عبر الزمن تبقى مجرد افتراضات فقط

جـ_ البحث عن عوالم مفقودة :

بحسب النظريات العلمية التي توصل إليها الباحثون والعلماء ، فإن كوكب الأرض قد مر بمراحل متعددة تركت فيه تحولات هائلة ، وربما العنصر الأساسي لهذا التحول هو سلسلة الزلازل التي أدت بدورها إلى انقسام القشرة الأرضية إلى قارات و جزر منها من اكتشف ومنها لا يزال مفقودا ، فبرغم التطورات العلمية فإن بعض الأجزاء لم يتوصل إليها إلى يومنا هذا ، وهذا الانقسام بدوره أدى إلى تغيرات سواء على سطح الأرض أو باطنها أو في المحيطات، وهاته العوالم تبعث الفكر الإنساني إلى التساؤل هل كانت هنا ككائنات بشرية أو حيوانية أو نباتية تعيش في كوكب الأرض قبل ملايين السنين؟ وهل كانت هناك حضارات

¹ - كيث بروكر، آن ماري توماس، المرجع في روايات الخيال العلمي، ص31.

متطورة يا ترى؟ ، هاته الإشكاليات تبقى نقطة فاعلة ينطلق منها عدد من الباحثين والمستكشفين ، والجدير بالذكر أن هاته التساؤلات لم تترك أثرها على الباحثين والمستكشفين فقط بل حتى الأدباء والمؤلفين ، إذ أصبح هذا الاتجاه موضوع فرع من الكتابات والمؤلفات التي صنفت بدورها في أدب الخيال العلمي لارتكازها على نظريات علمية ومنطلقات واقعية، ومن أبرز الكتابات في هذا المجال نجد رواية (أرض ساننيكوف) للكاتب الروسي فلاديمير أ برو تشيف ، يحكي فيها عن جزيرة تقع في القطب الشمالي أين يجد أبطال القصة أنفسهم مع العديد من البشر البدائيين، بنى الكاتب افتراضه على أن هذه الجزيرة صالحة للعيش نتيجة دفنها الذي يرجع إلى النشاط البركاني في أعماقها ، ويذكر في الرواية أن البركان تلاشى لكنه لم يبرد ولا يزال يمنح الدفء في الجزيرة ، ويصف الكاتب وصفا تفصيليا للطبيعة الموجودة هناك ، ويضمن سرده ببعض الاكتشافات داخل الجزيرة من حفريات غريبة تم اكتشافها في (أرض ساننيكوف) ، بعدها تعرضت البعثة التي أرسلت إلى الجزيرة إلى شجار عنيف مع السكان البدائيين ، غير أن هناك عائلة مسالمة قامت باستضافتهم لكن لم يتمكن سكان الجزيرة من تقبلهم لأنهم ذو بشرة بيضاء وهذا يعني أنهم أشرار، في نهاية الرواية تتدمر الجزيرة لكن البعثة تمكنت من النجاة ، وقد لاقت هاته الرواية نجاحا كبيرا لدى الفئة الشابة وجعلت البعض منهم يعتقدون بل يجزمون أن أرض ساننيكوف موجودة بالفعل

تجدر الإشارة الى أن هناك العديد من المواضيع التي شكلت حضورا في ساحة الأعمال الأدبية للخيال العلمي كالهندسة الوراثية والطب والإنسان الآلي..، ونحن أوجزنا بعضها فقط.

الفصل الثانى :دراسة تطبيقية فى رواية الخيال العلم (الإسكندرية 2050)

أولا : تجليات الزمن فى رواية الخيال العلمى

ثانيا : تجليات المكان فى رواية الخيال العلمى

ثالثا : بنية الشخصيات الروائية فى رواية الخيال العلمى

أولاً- تجليات الزمن في رواية الخيال العلمي (الإسكندرية 2050)

1- مفهوم الزمن:

من المعروف بالفطرة أن الزمن يمر دون توقف، نستطيع أن نتابعه من خلال الساعات أو التقويم أو دلالات الفصول، ومع ذلك لا يمكننا تفسير هاته الظاهرة إلا خيالياً، فالزمن بطبيعة الحال ليس شيئاً مادياً أو معنوياً، وإدراكه يعتمد على وعينا الناتج عن العملية المعرفية عبر حواسنا وتصوراتنا للعالم فقط، وعلى هذا الأساس ظل مفهوم الزمن محطة اختلاف في الأوساط العلمية، إذ حضي هذا الأخير -الزمن- باهتمام في مختلف الحقول المعرفية منها الفكرية والفيزيائية، والفلسفية بما في ذلك الدراسات الأدبية التي فتحت باباً لها في هذا المجال، فأصبح الزمن محطة بحث للعديد من النقاد والأدباء الذين اهتموا بوضع صور للزمن وتحليله في مختلف الأعمال الأدبية نثرية كانت أم شعرية.

مفهوم الزمن قد حظي بمكانة في المجامع اللغوية والأدبية أيضاً، إذ عرف في معجم العين ل: (الخليل بن أحمد الفراهيدي) في مادة زمن بما يلي: "الزمن: من الزمان. والزمن: ذو الزمانة، والفعل: زمن يزمن زمناً وزماناً، والجمع: الزمن في الذكر والأنثى. وأزمن الشيء: طال عليه الزمان"¹. هنا اكتفاء بالإشارة إلى الاشتقاقات الواردة من الزمن إذ يخلو من دلالات واضحة للمصطلح. وفي (صاحح الجوهري): "الزمن والزمان: إسم لقليل الوقت وكثيرة، ويجمع على أزمان وأزمنة وأزمن. ولقيته ذات الزمن، تريد بذلك تراخي الوقت، كما يقال لقيته ذات العويم، أي بين الأعوام."² وهناك دلالة واضحة لمفهوم الزمن.

أما في الاصطلاح فيعرفه الدكتور (عبد المالك مرتاض) بقوله: "الزمن مظهر وهمي يزمن الأحياء والأشياء فتتأثر بماضيه الوهمي، غير المرئي، غير المحسوس والزمن كالأكسجين

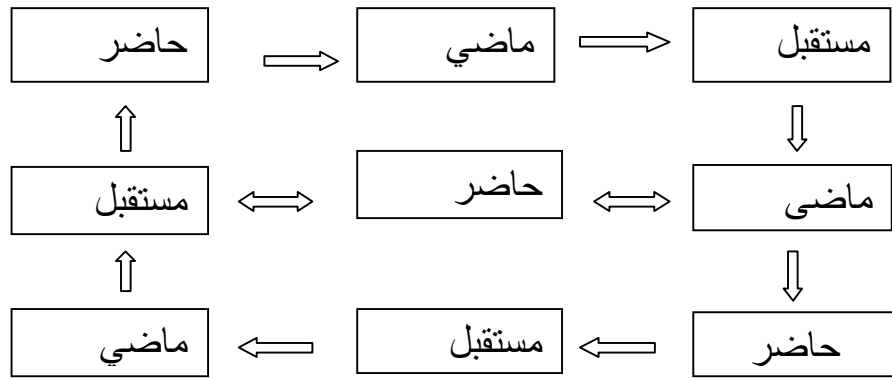
¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي ، معجم العين ،، تحقيق :مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، المجلد

7، دار مكتبة الهلال ، د.ط ، د.ت ص 375.

² - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، معجم الصحاح ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، المجلد 5، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4، 1987 ، ص 2013.

يعايشنا في كل لحظة في حياتنا وفي كل مكان في حركتنا، غير أننا لا نحس به ولا نستطيع أن نلمسه ولا أن نراه ولا أن نسمع حركته الوهمية على كل حال.¹ ، ويعرفه الكاتب هيثم الحاج على أنه " ذلك الكيان الهلامي الانسيابي الذي عرفه الإنسان من خلال توصيفات متعددة " ² ، وعليه فإن الزمن يعتمد على الإدراك العقلي لأن ليس له وجود ومعرفة تتطلب الوعي فقط لما يحيط بنا من ظواهر زمنية تتسم بتتابع الأحداث.

يتم التعامل مع الزمن في الأعمال الأدبية عامة والروائية خاصة بحسب ما تقتضيه طبيعة السرد داخل الرواية على سبيل المثال: (التطور الزمني، السرد في الوقت الحقيقي، ذكريات الماضي، التقدم الزمني العشوائي، وما إلى ذلك). وغالبا ما يكون خط سير الزمن من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل ، أما في رواية الخيال العلمي فنجد كسرا في الخط الزمني، أي توظيف عنصر الزمن بمفهومه الشامل في خطوط متشعبة وربما المخطط التالي يوضح أكثر استعمال الزمن في رواية الخيال العلمي:



ونحن لا نخص كسر الزمن لرواية الخيال العلمي فقط ، بل هناك أعمال روائية وسردية كثيرة تستخدم هاته التقنية خاصة في السرد الحديث والمعاصر ، والاتجاه الواحد للزمن أصبحنا لا نجده إلا في العالم الطبيعي وقد يوظف الزمن في رواية الخيال العلمي باستخدام زمنين مختلفين في لحظة واحدة ، مثل تلك الأعمال التي توظف فكرة الصمود إلى الفضاء ،

¹ - عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، ص 173.

² - هيثم الحاج على ، الزمن النوعي وشكاليات النوع السرد ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ، ط.1 ، د.ت، ص 17.

والتي غالبا ما تكون متقدمة بأشواط زمنية عن الزمن الذي نعيشه في الكرة الأرضية ،ويرتكز المؤلف في هاته الفكرة إلى أن عنصر الجاذبية يؤخر التقدم الزمني في الأرض على الزمن الموجود في الفضاء أين تتعدم الجاذبية، فيصبح العالم الموازي عالم متقدم زنيا وعلميا وتكنولوجيا على الزمن الذي نعيش فيه، و توظف الفكرة أيضا في روايات الخيال العلمي التي تتخذ من موضوع السفر عبر الزمن منطلق لها.

وهذا المزج بين الأزمنة الثلاثة في الرواية يقول فيه الباحث (تزيطان تودوروف) أنه عبارة عن : "انحرافات يقوم بها الراوي حين يقطع زمن السرد، لتجسيد رؤية فكرية وجمالية، فزمنية الخطاب أحادية البعد وزمنية التخيل متعددة، واستحالة التوازي يؤدي إلى الخلط الزمني الذي نميز فيه بداهة بين نوعين رئيسيين: الاسترجاعات أو العودة إلى الوراء، والاستقبالات أو الإستباقات" ¹ ، وهو النظر إلى الأمام أو المستقبل.

2-المنحنى الزمني الرئيسي في رواية الإسكندرية 2050:

تطرح رواية الإسكندرية 2050 للروائي (صبحي فحماوي) صعوبة كبيرة في تحديد البنية الزمنية ويرجع ذلك للصيغة التي استعملها الكاتب عند توظيف الزمن الذي أدرجه بفروعه الثلاث في خطوط متردية وغير متوازنة عن المعروف في الزمن بمفهومه الطبيعي ، أي تتبع الماضي فالحاضر فالمستقبل ، فالكاتب تارة ما يأخذنا من الحاضر إلى المستقبل لنجد أنفسنا في الماضي تارة أخرى وهذا شيء طبيعي في كتابات - (قصص أو رواية، أو سيناريو) - الخيال العلمي إذ يعتبر كسر الزمن ميزة أساسية لهاته الأعمال.

في بداية الرواية يقوم الكاتب (صبحي فحماوي) بتأسيس الزمن في مشهد معين كجزء فرعي تنطلق منه الرواية ، وهذا الزمن يعتبر عاملا مهما في تطوير الحكمة، ويعتبر كإشارة لخلفيات متعددة وغالبا ما تتم الإشارة لتاريخ البدء ضمن بعض الدلائل والمرجعيات التي يضمنها الكاتب داخل روايته.

¹ - مها حسن القصاروي ، الزمن في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1، 2004،

إن المؤلف (صبحي فحماوي) في هاته الرواية صرح به معتبرا إياه نقطة أساسية لانطلاق عملية السرد التي بنيت غالبا على استرجاع الأحداث من شخصية البطل (شاهد المشهور) الذي يروي أحداث حياته في مخطط زمني غير مباشر ومتداخل أحيانا ن، وذلك أمر طبيعي في كتابات الخيال العلمي ، إذن فالكاتب وظف عنصر الزمن من مفهومه الشامل الذي يمزج بين الزمن الماضي والحاضر والمستقبل في سلسلة متفاوتة، فينقلب الوقت رأسا على عقب، ويظهر الراوي هنا كمراسل ينقل الحدث وهذا الحدث له عدة رؤى في الأزمنة المتلاحقة، كأن ينقل حدثا وقع في الماضي مقارنا إياه بالحاضر مستنتجا ما سيصبح عليه في المستقبل ، وعند طرح رؤيته تتداخل الأزمان ببعضها من أجل تفسير الرؤية التي وصل إليها فغالبا ما تطرح النتيجة أو فكرة العمل في البداية ليرجع إلى الوراء أو الحاضر بعده ، وفي بداية أحداث الرواية نجد أن الراوي موجود فعلا في تلك اللحظة، وإذا كان الراوي موجود حقا في نفس اللحظة التي تقع فيها الأحداث، فهذا يعني أن البداية أو الانطلاقة متوازنة ومكتوبة بشكل أساسي في الحاضر ،لأن الروائي يروي الأحداث التي يمر بها ، ونحن هنا نتحدث عن نقطة الانطلاق فقط.

- "الزمان: 2050-9-25"¹ من هذا التاريخ بدأ الراوي حكايته، وهو بالنسبة للقارئ زما مستقبليا لكن بالنسبة للراوي فهو زمن أي زمن الحاضر ، ويعتبر هذا التاريخ الانطلاقة الفعلية لعملية السرد في الرواية، فكل أحداث الرواية مرتبطة بهذا التاريخ الذي استرجع فيه بطل الرواية (مشهور شاهر الشهري) أحداث حياته ،أين كان يتصارع مع آخر ساعاته ، حيث قام الابن (برهان) بطلب من شبكة المخابرات الخاصة في أن يسجلوا الذكريات التي مر بها أبوه (شاهر الشهري) " بناء على طلب السيد برهان، قمنا بتسجيل ما يدور بخلد أبيه (مشهور شاهر الشهري) من تفكير خلال الساعة الأخيرة من حياته وهو ينازع سكرات الموت في عكا، ولهذا شبكنا سماعة على رأس المهندس (مشهور) لا لتسمعه آيات من القرآن الكريم بينما هو يحتضر، بل لتتصت وتشفط منه ما يدور بخلد في هذه اللحظات

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، دار الهلال ، القاهرة ، ط2 ، 2009 ، ص05.

الحاسمة...¹، إن التاريخ الذي بدأ به الراوي حكايته له دور بارز في تبليغ الرسالة التي يريد الكاتب إيصالها، فالتطور العلمي في الزمن الذي وصل إليه (شاهد المشهور) ،توصل إلى اختراع جهاز يتتصت به على خلق الله، فيصبح الإنسان في ساعته الأخيرة مجرد قرص مضغوط يوصلونه بأجهزة ويخرجون به ما يوجد من معلومات وذكريات داخله، ومن هاته اللحظة أو التاريخ الحاضر تأخذ الحكاية مجرى آخر ويتخذ الزمن سبيلا آخر خاصا بشخصية (شاهد المشهور)، وما مر عليه في شريط حياته، وفي تلك اللحظة ينتقل السرد الروائي من راوي القصة إلى البطل الذي يروي تلك الصور والأخيلة عن الوقائع التي مر بها وكأنه يعيشها فعلا مرة أخرى،منطلقا في ذلك من طفولته التي عاشها في فلسطين في مخيمات اللاجئين فتتداخل هنا الأزمنة بين الحاضر الذي ينطلق منه، والماضي الذي يسترجع فيه ذاكرته، وصولا إلى المستقبل الذي وصلت إليه مدينة الإسكندرية أين أكمل مرحلة شبابه في الفصول 36 الباقية التي جاءت بعد الفصل الأول الذي حمل نقطة البداية الزمنية الفعلية للرواية في نهاية الرواية تعود الكلمة للراوي الأول في الرواية ،علما أن الرواية كانت تسرد على لسان البطل شاهر المشهور ، وفي اللحظة التي تستند إلى الزمن الماضي يأتي خبر وفاة السيد مشهور "... (بقلوب راضية بقضاء الله وقدره ننعي المرحوم المهندس مشهور شاهر الشهري عن عمر ناهز المائة وسنتين قضاها في الأعمال التي دونها أعلاه،وبعد الصلاة عليه في مسجد ظاهر العمر ، تم دفنه في مقبرة عكا الجديدة بحضور أبنائه وأحفاده وأحفاد أحفاده ،وأهالي عكا الكرام ،بتاريخ 25-9-2050 بعد أن أتم روايته .)² ، ليقف الزمن السردى للرواية في هذا التاريخ الذي يعتبر زمن حاضر البنية السردية للرواية .

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050، ص 6،7.

² - المصدر نفسه، ص 247 .

3-المفارقات الزمنية في رواية الخيال العلمي :

زمن الحكاية لم يكن متلاحقا ، إذ نجد السرد عبارة عن فعل زمني متأخر أو متقدم مقارنة مع وقوع السرد الذي كان يروى في الحاضر لكن الحدث كان في الوقت الماضي، ولا سابقا أين يكون الحدث في الزمن الحاضر لكنه لم يحدث بعد فهو ينتمي إلى المستقبل، ولا مترام بحيث يكون الحدث والسرد متوازيان مع الزمن الحاضر ، بل جاء متداخلا ممزوجا مع الزمن اللاحق والزمن السابق والزمن المترام ، إذ نجده ينتقل تارة من الزمن الحاضر إلى المستقبل ، وتارة من الزمن الحاضر إلى الماضي في خط متعرج وبذلك فإن الزمن البارز في الرواية هو زمن متداخل ، ولكن الزمن الغالب فيها هو الزمن الماضي ، واعتماد الراوي على هذا الزمن في الرواية جاء من أجل المقارنة بين العالم الذي عاشه سابقا بالعالم الذي عايشه في الزمن الحاضر ، مستعملا بذلك تقنية الاسترجاع الزمني وفيما يلي سنوضح أو نرصد مظاهر الاسترجاع التي وظفها الراوي في هاته الرواية وبفرعيه المختلفين سواء أكان استرجاع داخلي أم خارجي وقبل ذلك سنقوم بتوضيح ماهية المفارقة الزمنية :

المفارقة الزمنية: يقول جيرار جنيت : "إن مفارقة ما يمكنها أن تعود إلى الماضي أو على المستقبل وتكون قريبة أو بعيدة في لحظة الحاضر ، أي عن لحظة القصة التي يتوقف فيها السرد من أجل أن يفسح المكان لتلك المفارقة ، إننا نسمي مدى المفارقة هذه المسافة الزمنية ، ويمكن للمفارقة أن تغطي هي نفسها مرة معينة من القصة وتطول أو تقصر ، وهذه المدة هي ما نسميه اتساع المفارقة .."¹ ، فأخذ الكاتب بذلك النظام الزمني المتسلسل وقاموا باللعب على أوتاره مغيرين نواته في حركة عكسية أحيانا ومختلطة أحيانا أخرى ، لتظهر بذلك جمالية فنية رائعة تعتمد على تقنيات جديدة أبرزها الاستباق الداخلي والخارجي ، والاسترجاع الداخلي والخارجي وهو ما يعرف بتداخلات القبل والبعد ، وعلى هذا الأساس سنقوم بالتطرق إلى المفارقة الزمنية بعنصرها الاستباق والاسترجاع في هاته الرواية لنرى قدرة الكاتب على اللعب بعنصر الزمن داخل البنية السردية للرواية :

¹ - حميد الحمداني ، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1991م ، ص 75 .

1-/- الاسترجاع : هو سرد أحداث مضت في السابق في الوقت اللاحق أي سرد أحداث ماضية في الوقت الحالي أو في الزمن الأصلي لعملية الحكي ،"ويعد الاسترجاع من أكثر التقنيات الزمنية السردية حضوراً وتجلياً في النص الروائي فهو ذاكرة النص ،ومن خلاله يتحايل الراوي على سلسلة الزمن السردية إذ يقطع زمن السرد الحاضر ويستدعي الماضي بجميع مراحلهِ ويوظفه في الحاضر السردية ، فيصبح جزءاً لا يتجزأ من نسيجه ،..."¹

وينقسم الاسترداد بدوره إلى قسمين رئيسيين وهما الاسترجاع الداخلي والاسترجاع الخارجي، يأتي هذا التقسيم تبعاً لنمط الاسترجاع والعلاقة التي تربطه بالسرد الواقع في الزمن الحاضر .

أ-/- الاسترجاع الخارجي: يوظف هذا النمط في الرواية من أجل تكميل وتوضيح ما يجري من أحداث في الزمن الحاضر ، ونعني به العودة إلى نقطة ما تتخطى أو تتجاوز نقطة الانطلاقة الفعلية للقصة ، فتضل نقطة الاسترجاع هنا خارج النطاق الزمني للمحكي الأول (درجة الصفر)، أي أن العودة إلى الماضي تكون خارج النطاق الزمني الفعلي للأحداث السردية داخل الرواية ، وفي ذلك يقول الباحث جيرار جنيت أن الإستباقات الخارجية " لا توشك في أي لحظة أن تتداخل مع الحكاية الأولى ، لأن وظيفتها الوحيدة هي إكمال الحكاية الأولى عن طريق تنوير القارئ بخصوص هذه السابقة أو تلك ..."².

ب -/- الاسترجاع الداخلي : ونعني به استرجاع الأحداث التي وقعت قبل حدوث الفعل السردية وهي أحداث ترتبط بالبنية السردية والفكرة الرئيسة للرواية لكن حدوثها ارتبط في زمن سابق لأحداث السرد أو لنمو عملية السرد ، أي هو فعل ماضي يرتبط بالحدث الأصلي للرواية غير أن تقديمه متأخر في النص أو الحدث الروائي وهذا الفعل لا يخرج عن المحكي الأول ، والملاحظ في رواية الإسكندرية 2050 أن هذا النوع قد أدى دوراً كبيراً على مستوى الخطاب الروائي بحيث أن والاسترجاعات الواردة في الرواية قامت بكسر رتبة الزمن ودفعت

¹ - مها حسن القصاروي ، الزمن في الرواية العربية ، ص 192

² - جيرار جنيت، خطاب الحكاية بحث في المنهج ، ترجمة : محمد معتصم وآخرون ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ،

ط2 ، 1997م، ص 61

بمختلف الأحداث إلى الخروج عن التسلسل الخطي للأحداث ويرجع ظهور هاته التقنية في هاته الرواية إلى التداخل الزمني الذي اعتمده الراوي في البنية الزمنية للرواية. وسنقوم هنا برصد مجموعة من الاسترجاعات الواردة في هاته الرواية لنرى الطريقة التي اتبعها الكاتب في توظيفه لهاته التقنية :

الفصل	الصفحة	مقاطع للسرد الإسترجاعي داخل الرواية		الاسترجاع	
				داخلي	خارجي
الفصل 01	06-	- لقد أزلنا طاقة الإخفاء عن الأسرار والسر لم يعد سرا		+	
	7-	-سرير جناحه الخاص الذي جهزته له ابنته سمر، منذ عودته			+
الفصل 02	08-	-هذا ما قاله انطونيو لكليوباترا وهو يعانقها ويتابع أشعاره			+
	09-	-استمتعت بجمال الحقائق الأندلسية العربية ...			+
الفصل 03	14-	هذه الطائرة الهدوجينية المرهفة المصنوعة من الورق الخفيف المقوى بنفس صلابة المعادن		+	
	17-	- هل صحيح أن آدم وحواء قد نزلا إلى الأرض بمركبة فضائية			+
الفصل 04	25-	-كان أبي يجمعنا تحت اللحاف ويفتح المذراع بخفوت على صوت العرب من القاهرة		+	
	25-	-أبي المحزون دائما بكآبة النكبة كان يفرح ويبتهج وهو يشاهد صور القائد العربي		+	
	27-	-كنت تقرأ له كتاب (النبي) لجبران خليل جبران ،			+

05	28-	وما زلت تذكر عباراته	+	الفصل
		-من منكم لاجئ ،كي نسلمه كتب المدرسة بالمجان ؟		
06	34-	- عندما انتبهوا لذكائه ،عينوه بوظيفة مساعد باحث في المختبر ،فاخذ فرصة لدراسة الماجستير	+	الفصل
	36-	كان تعرفي عليك لأول مرة يا أميمه في ربيت أخي غالب	+	
	39-	- اشتريت يومها أرخص تذكرة	+	
07	40-	- يضع الحمال الحقيبة على الرف فيشعرك بأن مهمته قد انتهت فتتقده القروش الخمسة	+	الفصل
08	47-	-تنزل من العربة فلا تبعد كثيرا إذ يدهشك مرأى كثير من الشبان الراكبين بالمجان	+	الفصل
09	58-	-كنت قد قرأت على شاشة كمبيوتر طائرتك الهيدروجينية	+	الفصل
	61-	- قرأت كتاب (النبي) لجبران الذي كنت تقرأه لوالدي وهو صغير	+	الفصل
10	63-	- كما يعمر الزيتون والبلوط الفلسطيني	+	
11	67-	- نعمل ساعات طويلة في معهد هيسن للهندسة الوراثية	+	الفصل
12	76-	-بيوت وعمارات الشاطئ عام 1966 تتراوح ارتفاعاتها من طابق واحد إلى خمسة	+	الفصل
13	78-	-في زمن الإنسان الأول كانت الأبواب تغلق بالحجارة	+	الفصل

+		- كانت أم عربي تستأجر شقة فارغة في الزقاق المذكور	81-	الفصل 14
	+	- في رحلتنا الأخيرة هذه على الطيران العربي الموحد كان المسافرون يشربون من المياه العادمة	96-	الفصل 15
	+	- تخطر على بالك امتحانات نهاية السنة الجامعية الأولى	99-	الفصل 16
	+	- صار يأخذها معه ليلاً إلى ملهى المهلبي ومنذ ليلتها تكتشف أنه صاحب الملهى	113-	الفصل 17
	+	- في المساء تعود إلى مطعم الدمندهوري	115-	الفصل
+		- "قمن زحزح عن النار فقد فاز"	117-	18
	+	- كان الناس أيام شبابك يتزاحمون هنا وهناك	124-	الفصل 19
+		- شقة (أبو جرجس) والتي انتقلتما إليها	134-	الفصل 20
+		- بعد ذلك وضعناهم في غابة محمية واحدة	147-	الفصل
	+	- بعد مرور عشرة سنوات على وفاة زوجتك أميمه	150-	21
+		- لقد أنشأت مزرعة الأعضاء البشرية	159-	الفصل
	+	- كان رد المعهد حازماً	162-	23
+		- أين هو مستشفى الشاطبي للولادة (...) والذي أنشأ في أيام دراستنا	164-	الفصل
	+	- لم تبقى سوى مكتبة الإسكندرية	169-	24

25	الفصل 170-	- تشعر بحنين يشدك إلى الشهيد محمد محمد محمد ، فأخلاقه وسرعة بديهته	+
26	الفصل 178-	-إذ كنت في الصباح الباكر تنزل لتدرس (...) تلفتك سمكة كبيرة تتأرجح على سطح الماء	+
27	الفصل 184-	- كنت تذهب إلى دير هناك ، قرب مسجد سيدي جابر ، فتدرس فيه كل موادك	+
28	الفصل 188-	- بعد إجازة نصف السنة يعود محمد محمد من المنصورة محملاً بالفطير المشلتت	+
29	الفصل 198-	- وأنتما تعودان إلى محطة الرمل في حوالي الساعة الثانية عشر ليلاً، بعد خروجكما من فلم سينمائي	+
30	الفصل 207-	- يعلن جمال عبد الناصر تنحيه عن الحكم	+
31	الفصل 212-	-كانت اللجنة الثقافية لطلبة الكلية قد دعت الشاعر أحمد فؤاد	+
32	الفصل 218-	- كان المرحوم فكاها مضحكا ومهرجا بصوته المرتفع	+
33	الفصل 225-	عمل لك أخوك غالب تأشيرة دخول إلى دبي فدخلتها	+
34	الفصل 230-	ولست مثل سمكة (أبو جرجس) المياسة اليتيمة	+
35	الفصل 239-	- شيد بطليموس الثاني سنة 297 قبل الميلاد برجاً هائلاً للمنارة	+

36	الفصل	242-	-كانوا يتفرجون علينا باندھاش ، وطلبوا منا أن نركب غواصة سياحية	+
37	الفصل	246-	-اشتره لها جدك من الشام أحضر لها من هناك أجمل صندوق عرس	+
		247-	- تم دفنه في مقبرة عكا، بحضور أبناءه وأحفاده وأحفاد أحفاده	+

- (01) جدول لمقاطع السرد الإسترجاعي في رواية (الإسكندرية 2050).

إن رجوع الأحداث للزمن الماضي بكثرة في الرواية هو ما يعلل البروز الكبير لهاته التقنية داخل الرواية سواء استرجاعات داخلية أم خارجية ، والملاحظ أن هاته الاسترجاعات قد تماهت واختلفت من فصل إلى فصل آخر ويرجع ذلك إلى أن الراوي كان في كل مرة يرجع بذاكرته إلى الورا لیسرد أحداثا استدعتها ذاكرته وفي كل مرة أيضا كانت تبرز شخصيات جديدة تربط بالزمن الماضي الذي عايشه بطل الرواية وفي أماكن متعددة من حياته .

وقد وردت الاسترجاعات الخارجية لتقديم مشاهد من الماضي الذي ينتمي إليه البطل وبعضها منها كان يدل على الثقافة الواسعة والمرجعية الفكرية التي يكتسبها البطل، تظهر هاته التقنية الزمنية عادة لخدمة البطل، وتبرير موقفه من العالم الجديد المتقدم أين كان يقارنه بالعالم القديم في مواضيع وأبعاد متعددة ، ونجد أن الكاتب قد اختار عددا كبيرا من الشخصيات المختلفة في توجهاتها الفكرية والدينية والاجتماعية، وهكذا تنوع الاسترجاع بفرعيه بتنوع هاته الشخصيات والأحداث التي جمعتها معها ، وعادة ما تبني روايات الخيال العلمي على عدد كبير من الإستباقات التي سنتدرج إليها فيما بعد، لكن هاته الرواية اعتمدت على تقنية الاسترجاع بكثرة وهذا طبيعي جدا لأن الكاتب كان يقارن بين عالم الخيال العلمي الجديد الذي برز بكل مظاهر التقدم في مصر وبالضبط في مدينة الإسكندرية وبين تلك الأحداث والظواهر والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع المصري في الزمن القديم ، وكذلك للمقارنة بين العالم الأخضر المسالم وبين الواقع الظالم المستبد الذي يأكل حق المستضعف.

إن الاسترجاعات الموظفة في الرواية ترجع في غالب الأحيان إلى فترتين الفترة الأولى تعود إلى سنة 1945م، والفترة الثانية ترجع إلى سنة 1966م، أي مرحلة الطفولة ومرحلة الصبا لدى شخصية شاهر مشهور الشهري ناهيك عن الزمن الذي تخرج فيه من الكلية وهو زمن غير مذكور ، وكذلك تلك الاسترجاعات المرتبطة بالرصيد الفكري والمعرفي للكاتب كتلك المقاطع من القرآن الكريم ، وقصص قديمة ، وأغاني شعبية ، إضافة إلى بعض المقاطع من كتاب النبي لجبران خليل جبران ، إن هذا الرصيد الفكري الذي احتوت عليه الرواية ينم عن تمكن الكاتب من الربط بين الواقع والمتخيل في أسلوب سردي يعتمد على تقنيات مختلفة وبأسلوب مشوق ، ولعل هذا الرصيد المعرفي هو ما خلق لدى فحماوي بعدا نظريا واستشرافا لواقع وعالم أفضل للكائنات التي تعيش في هذا الكون وليس للإنسان فقط.

2 -/ الاستباق : بما أن الرواية تتدرج ضمن فرع الخيال العلمي فمن الأكيد أن لديها نظرة استشرافية تنبؤية نحو المستقبل ، وبذلك فإن اشتغال هاته الرواية على تقنية الاستباق يعتبر أمرا طبيعيا وقبل أن نتطرق لمظاهر الاستباق سنحاول توضيح ماهية الاستباق الزمني . هي تقنية زمنية توظف في السرد الحكائي وله أسماء عديدة كالسرد الاستشرافي أو التوقع، أو الاستشراف أو التنبؤ وما إلى ذلك ، وتوظف هاته التقنية من أجل إعطاء نظرة حول ما سيحدث في المستقبل ، ويعرف على أنه استباق أو تخطي أو قفز عن زمن أحداث السرد ، والاستباق بدوره ينقسم إلى قسمين:

أ- استباق داخلي : ترد هاته التقنية الزمنية " داخل المدى الزمني للمحكي الأول دون أن يتجاوزه كما أنه يعرض القص كالاسترجاع الداخلي لخطر التداخل والتكرار بين الحكاية الأولى والحكاية التي يتولاها المقطع الإستباقي ..."¹ وفي هذا النوع من الاستباق لا يتجاوز التوقع الإطار الزمني للحكاية ولا يخرج عن خاتمة أو نهاية الرواية .

ب- استباق خارجي : يأتي هذا النوع عكس الاستباق الداخلي فهو يتجاوز الزمن الحكائي للقصّة الأولى ويتجاوز نهاية الرواية ، وهو عبارة عن نظرة مستقبلية أو تنبؤية لما

¹ - جيرار جنيت ، خطاب الحكاية ، ص 79 .

سيحدث مستقبلا وهاته النظرة المستقبلية ترد خارج الحدود الزمنية للحكاية الأولى أي تجاوز استباقي للحدث الرئيسي داخل الرواية ، لكن تربطه علاقة بسيرورة الأحداث الفعلية للرواية، و"الإستباقات الخارجية تملك وظيفة ختامية في أغلب الأحيان"¹ ، وفيما يلي سنقوم بعرض بعض الإستباقات التي توصلنا إليها في فصول رواية الإسكندرية ألفين وخمسين :

الفصل	الصفحة	مقاطع السرد الإستباقي في الرواية	الاستباق	
			الداخلي	الخارجي
الفصل 01	05-	-نحن شبكة إعلان متخصصة في التجسس على عباد الله منذ لحظة الولادة وحتى لحظة الوفاة	+	
الفصل 02	10-	-ولكنك تعود متلهفا لرؤية ابنك برهان ومشتاقا لأحضاناه وشم رائحته وقلقا على الفحوصات الطبية لحفيذك الأخضر كنعان	+	
الفصل 03	15-	-هل لأنها تحبك فنتمنى لك العمر المديد والجهد الهادئ ، والتمتع بحيات سعيدة ؟ أم أنها تريد أن تثبط عطائك ، وتبقىك عربيا متخلفا عن ركب الحضارة الراكب بسرعة جنونية ؟	+	
الفصل 04	23-	هل ينجح جيل كنعان الأخضر في لي أذرعة شرور الإنسان ضد أخيه الإنسان ؟	+	
الفصل 05	27-	- بقدر ما تفكر في لقاء برهان وكنعان الأخضر الصغير بفارغ الصبر	+	
الفصل 33-		- تنزل مع القادمين حيث ستستلم حقيبتك وأنت تكلم	+	

¹ - ينظر ، جبرار جنيت ، خطاب الحكاية ، ص 77 .

06	نفسك قائلاً : هل نلتقي يا برهان في الوقت المحدد؟		
الفصل 07	39- - سرت باتجاه القطار الذي كان سيتحرك إلى الإسكندرية	+	
الفصل 08	47- - لم يبق عليك سوى استقبال الحبيين ، الابن والحفيد كلها مسألة وقت وسيصلان إن شاء الله في الوقت المحدد	+	
الفصل 09	59- - تتجه بالبساط المتحرك إلى محطة الحقائق الواردة من فرانكفورت لتلتقي برهان وكنعان	+	
الفصل 10	63- - هؤلاء الآليون يبتسمون لك ولكنك إذا خالفتهم تجدهم يكشرون عن أنيابهم ويقطعون عليك الطريق	+	
الفصل 11	65- -تطير السيارة الفضائية لتتقلنا إلى الفندق الذي حجزه لنا برهان	+	
الفصل 12	75- - أرجوكم أن تنتظروا هنا في القاعة قليلاً ، لتجهيز الجناح لاستقبالكم	+	
الفصل 13	79- -تدخل الآلية معنا ، بينما الحقيبة تسعى لمستقر لها والمرأة ترحب بنا وتوضح لنا كيفية استخدام مرافق الجناح	+	
الفصل 14	82- -تأخذك أم عربي في جولة داخل شقتها الصغيرة قائلة : إذا خرجت من غرفة النوم أطفئ النور خلفك ، وإذا خرجت من الحمام أو المطبخ أطفئ النور خلفك	+	
الفصل 15	94- - سأبني دار مكتبة عامة وأهديها بكل محتوياتها إلى مدينة عكا، وأرصد في البنك ما يكفل رواتب	+	إلى 95

		موظفيها بشكل دائم بعد موتي		
الفصل 16	99-	- بينما تدخل أنت لتأخذ حمام بخار ساخن مضغوط ، يزيل عنك وعشاء السفر	+	
الفصل 17	110-	- من المؤكد أن الأنفوشية لن تردّها خائبة	+	
الفصل 18	115-	-تفكر في فحوصات حفيدك كنعان متسائلا : هل يسير برهان في اتجاه صحيح ؟ وتتجح مخبراته الخضراء في نزع مخالب الإنسان	+	
الفصل 19	124-	- وفي الليل تجد هذه الجدران تعيد ما اختزنته من نور الشمس فتضيء المدينة وتحول ليلها إلى نهار	+	
الفصل 20	135-	- وما دمنا قد تقاهمنا وصرنا أصدقاء ، فما رأيك أن نرحل ونبحث لنا عن غرفة واحدة بسريرين عند عائلة ...	+	
الفصل 21	148-	- لكننا نسعى لخلق عالم بلا تحديات ، نريد جيلا أخضر يعيش بلا خوف ، بصراحة نريد جنة على الأرض	+	
الفصل 22	152-	- وأنت تستعد للخروج مع برهان لتناول طعام الإفطار في الطابق الأول من فندق جوانج تشو .. في انتظار جاهزية برهان للخروج معك	+	
الفصل 23	160-	-والأخطر من هذا يا أبي ، ظهور شركات مدمرة لكل المبادئ والأعراف ، لا تنتج الأعضاء ، بل تنتج بشرا بمواصفات محددة ، بهدف بيعهم لمن يشتري	+	

166-	الفصل 24	- صار الطالب يقعد داخل بيته أو في مكتبة أو في مركز المعلومات المتخصص ، فيربط دماغه بجهاز الكمبيوتر هكذا كما تسجل اسطوانة أغان أو فيلما سينمائيا من خلال الكمبيوتر ، ويسجل فيه مادة العلوم أو الدين أو الأدب	+
171-	الفصل 25	- هذه (خناقة اسكندراني) والله لو تحصل مثل هذه اللطمة عندنا في الفلاحين ، فلن يغسلها سوى الدم الذي يجب أن ينفر	+
181-	الفصل 26	-ما رأيك أن أأخذ أبي فأترجك وأنت مسلم فأخلف لك أطفال مسلمين	+
184-	الفصل 27	- تتقلب في مقعدك وأنت تنتظر بزوغ فجر كنعان بفارغ الصبر	+
192-	الفصل 28	-وردا على دعوتك لأحمد يوسف (...)يدعوك بدوره لزيارتهم في شقتهم الأرضية	+
198-	الفصل 29	- خطة لتنفيذ مشروع مدينة سياحية حول بحيرة مدينة القطارة	+
209-	الفصل 30	-لو كان بداخل كل منا جمال عبد الناصر ، لكانت الأمة بألف خير	+
215-	الفصل 31	-وطالبت سهير المحلاوي بخروج اللجنة إلى الأسواق والمحلات والمساجد والكنائس وكل مكان واعد لجمع التبرعات بمعرفة اللجنة والتدقيق فيها وتقديمها إلى رجال المقاومة	+
216-			
217-	الفصل	-يضحك المرحوم وهو يقول ساخرا : ماذا أقول له	+

32	لو جاء يسألني ؟ والله يا أخي افكرتك نجاة الصغيرة		
الفصل 33	225- - عمل لك أخوك غالب تأشيرة دخول إلى دبي	+	
الفصل 34	230- - نخرج معا من المستشفى وأنت تفكر بترتيب احتفال بنتائج الصحية المبهجة	+	
الفصل 35	239- - يبدو أن كل أعضاء الخضر الزائر من المدينة الخضراء في هيسن قد رتبوا مع أستاذتهم المرافقة رحلة جماعية إلى مدينة آخر الفراعنة الغارقة	+	
الفصل 36	244- -تدهش وتقدر الفن المبذول لإعادة صياغة التاريخ في هذه المدينة العجيبة مما يغريك أنت وبرهان ،والزا بزيارتها في اليوم التالي ولكن عبر مركبة غواصة	+	
الفصل 37	246- - تقعد مع أطفالك لترمموا ترصيع الصندوق القديم بالصدف العكاوي	+	

(02) جدول لمقاطع السرد الإستباقي في رواية (الإسكندرية 2050).

مثلت تقنية الاستباق الشكل الثاني لبروز المستوى الزمني في الرواية فتتوعد طريقة توظيف هاته التقنية بفرعيها (الإستباقات الداخلية والخارجية)، لكن النوع الأول كان له الحضور الأقوى في الرواية، فنجد له حضورا في مشاهد سردية متعددة ارتبطت عادة ببعض الأحداث التي تجري مع شخوص جديدة ، والاستباق هنا هو لاحق للأحداث القادمة كأن يذكر شخصية ثم يخوض في تجربته معها أو وصفها في حدث أو فصل قادم ، مثل قول الراوي : "...سجيبك أبو جرجس الذي ستسكن في شقته لاحقا ..."¹ لم تكن هناك أية إشارة إلى الشخصية ، وظفت بشكل استباق داخلي في موقف استدعى ذلك ،وفيما بعد سيقوم

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 118 .

الراوي بسرد تفاصيل هاته الشخصية ، ويكون هذا النوع من الإستباقات على شكل إشارة سابقة تمهد لأحداث قادمة تقع في المستقبل السردى للرواية ، ومن بين الإستباقات الداخلية أيضا نجد قول السارد: "...وأنت تستعد للخروج مع برهان لتناول طعام الإفطار في الطابق الأول من فندق جوانج تشو في انتظار جاهزية برهان للخروج معك..."¹ وهنا يعتبر المقطع كتمهيد للخروج والإفطار الذي سيحدث لاحقا .

وقد وردت مقاطع كثيرة استوقف فيها الكاتب الزمن الحاضر وانطلق إلى المستقبل كما لاحظناه في الجدول السابق الذي قمنا فيه بوضع تصنيف للاستباقات الموظفة داخل الرواية والتي ارتبطت بدورها بعدد كبير من المواضيع كالتمني أو التساؤل أو الخوف وهي ناتجة عن الحالة النفسية التي كان يعيشها السارد من تحصر على أيام شبابه إلى خوفه من مصير حفيده كنعان مستقبلا ، وأيضا في التساؤلات التي كانت ترد من مقطع إلى آخر مثل قوله : "هل ينجح جيل كنعان الأخضر في لي أذرة شرور الإنسان ضد أخيه الإنسان ..."² وهنا استرجاع خارجي فالكاتب لم يستطع الصمود في وجه الكبر الذي أخذ به إلى مثواه الأخير قبل رؤية الجيل الأخضر قد سيطر على الشر الموجود في نفس البشرية التي تنهب وتستغل الطبيعة الخضراء والكائنات التي تعيش فيها ، ويصرح الكاتب فيما بعد عن أمنيته لرؤية هذا الجيل الجديد " أتمنى أن أعيش لأشاهد انجازاتكم العظيمة .."³ وهنا جاء الاستباق عبارة عن خطاب موجه إلى الابن برهان وهو أيضا استباق خارجي كما سبق وأن قلنا أن الكاتب اعتمد على هذه التقنية بفرعها في مواقع كثيرة من روايته ، واستطاع من خلالها أن يحقق قفزة نوعية طالت عمق الأحداث الروائية فأخذتها إلى المستقبل ، وبذلك تمكن الكاتب من قلب النظام الزمني داخل الرواية مما يمنح بعدا جماليا وفنيا للرواية وكذلك لبلورة رؤيته التنبؤية للمستقبل .

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 152 .

² - المصدر نفسه ، ص 23 .

³ - المصدر نفسه ، ص 158 .

ثانيا- تجليات المكان في رواية الخيال العلمي (الإسكندرية 2050).

1- مفهوم المكان :

وردت لفظة المكان في القرآن الكريم للدلالة على أبعاد كثيرة فمنها من دل حول معنى التغيير أو إبدال، كقوله تعالى: " وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم أحدا منهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا"¹ ، وفي موضع آخر دلت حول معنى المكان الأصلي الموضح أو الموقع كقوله تعالى : " وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا"² وردت هاته اللفظة في القرآن في مواضع عديدة وللدلالة على أبعاد ومعان كثيرة ، أما في المعاجم اللغوية فقد تنوعت تعريفات المكان ، ففي معجم لسان العرب نجد دلالتين للمكان الأولى أن المكان جاء تحت مادة (كون) بمعنى "الموضع والجمع أمكنة وأماكن"³ اختلفت التعريفات من موضع لآخر لما تحمله كلمة المكان من دلالات كثيرة لكن الأغلب جاء بمعنى الموضع.

أما في الاصطلاح فقد تنوعت تعريفات المكان بحسب تنوع الدراسات، وهنا سنتطرق إلى التعريفات الواردة في المجال الأدبي فقط. " والمكان في الأدب ليس مجالا هندسيا تضبط حدوده أبحاث وقياسات خاضعة لحسابات دقيقة كما هو الشأن بالنسبة إلى الأمكنة الجغرافية ذات الموصفات الطبوغرافية إنما يتشكل في التجربة الإبداعية انطلاقا واستجابة لما عاشه وعاشه الأديب إن على مستوى اللحظة الآنية ماثلا بتفاصيله ومعالمه، أو على مستوى التخيل وافدا بملامحه وضلاله"⁴ وعلى هذا الأساس يقوم الأديب برسم حدود المكان المتخيل ووصف أبعاده في الرواية أو العمل الأدبي فنذكر خصائصه وأنماطه ليس بأبعاده الجغرافية إنما بأبعاده المتخيلة التي ترجع أساسا إلى التجربة التي خاضها الأديب في حياته والأماكن

¹ - سورة النساء ، الآية 20 .

² - سورة الحج ، الآية 26 .

³ - محمد بن كرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ، معجم لسان العرب ، دار صادر ، المجلد 13، ط1 ، 1990م ، مادة (ك، و، ن) .

⁴ - باديس يوسف فوغالي ، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2008م، ص 168 .

التي مر عليها. فيحسب تلك التجربة التي عاشها في شكل عمل أدبي مطبقا معالم المكان المتخيلة فالأديب في رواية الإسكندرية 2050 صنع مكانا متخيلا يرجع إلى سنة 2050 ليس له وجود في العصر الحالي سوى في عقولنا فأثبت عمله في مكان معين انطلاقا من تجاربه في الحياة التي مكنت له أن يتخيل ذلك المكان الجديد بأبعاده وخصائصه المختلفة عن العوالم القديمة، وليس شرطا أن يقوم المؤلف بالكتابة في إطار المكان الذي ولد ونشأ فيه فله الحرية أن يختار الكتابة عن أنواع أخرى من الأمكنة والخصائص التي ترتبط بها ويمكنه تخيل المكان الذي تدور فيه الأحداث وتعيش فيه شخصياته إضافة إلى أنه قد يرجع هذا المكان إلى الماضي أو الحاضر أو المزج بينهما أو الأماكن التي يتخيل أنها ستكون موجودة في المستقبل وهذا من أكثر الأنواع الموجودة في أعمال الخيال العلمي على غرار موضوع الأماكن والعوالم البديلة التي قد تأخذنا إلى أماكن لم نسمع عنها لا في أعمال أدبية ولا علمية ولا فكرية سابقة وإن سمعنا فتصل مجرد تلميحات فقط فهي ميزة ينفرد بها الخيال العلمي، وتساعد هاته الرؤية في معرفة جودة العمل الأدبي وقدرة الأديب على خلق عالم حقيقي تسبح فيه شخصياته. فالمكان في الأدب لا يتقيد بأبعاد الموجودة بل يتعدى الموجود وصولا إلى المتخيل وقد يصبح المتخيل مكانا موجودا بالفعل في أزمنة لاحقة بعدما كانت خيالا جامحا مفرغا في صفحات بيضاء. وفي هذا المجال تنهي الباحثة (سيزا أحمد قاسم) إلى القول بأن: "مكان الرواية ليس المكان الطبيعي، فالزمن الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة"¹ ، فالرواية تعتبر وسيلة نقل إلى عوالم مختلفة عبر الفضاء اللغوي الذي يضع أماكن متعددة خيالية ولها خصوصياتها التي تميزها على الأمكنة الأخرى فتتقلها هاته الأداة-اللغة في الرواية- من الواقع المعاش على الأرض إلى عوالم أخرى لم توجد من قبل إلا في مخيلة الكاتب أو المبدع.

¹ - سيزا أحمد قاسم ، بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د.ط ، 1984م ، ص 74.

2- الفضاء المكاني في رواية الخيال العلمي الإسكندرية 2050:

مثلاً لعب الزمن دوراً مهماً وركناً أساسياً في رواية الإسكندرية 2050 فإن المكان أيضاً دور مهم في البناء الفني للرواية، وذلك لأنه يشكل عضوية حية تسري فيها أغلب مكونات الرواية كالشخصيات والزمن والأحداث وما إلى ذلك، وله القدرة أيضاً في تأطير وتنظيم الأحداث الروائية، وتتجلى أبعاد المكان في هذا العمل الفني بمظاهر متعددة ومختلفة إذ لم تقتصر على البعد الجغرافي فقط بل تعدته إلى البعد المتخيل بتمظهراته المتنوعة أيضاً، فيتجلى المكان في الرواية واقعا من جهة ويظهر خيالاً صرفياً في مواضيع أخرى، فقد وظف الكاتب صبحي فحماوي أمثلة متعددة تنم عن المقدرة الإبداعية الخلاقة والخيال الواسع اللذين استطاع من خلالهما خلق أمكنة ليس لها أي مرجعية واقعية رسمتها مخيلته، وجسدتها حروفه وكلماته، واستطاع أن يجعل له شكلاً هندسياً واقعياً وحقيقياً في ذهن المتلقي الذي يراه بالبصيرة وليس بالبصر وترجع المقدرة الإبداعية في التوظيف المتنوع إلى التجارب والخبرات المعرفية والرؤى الجمالية التي يتمتع بها الأديب والمؤلف (صبحي فحماوي)، وأول ما يلفت القارئ هنا هو أن الكاتب وضع الإطار العام للمكان بدءاً من العنوان (الإسكندرية 2050) وهنا تتجلى ثنائية الواقع والمتخيل فالإسكندرية كمكان واقعي موجود بالفعل حاضراً أما إسكندرية 2050م المختلفة بجميع أبعادها والتي وظفها الكاتب هنا كنظرة استشرافية تنبؤية فتضل مجرد خيال ارتكز الكاتب في بنائه على الواقع وصولاً إلى المتخيل وكما هو معروف في ساحة الدراسات والبحوث التي تناولت موضوع المكان في رواية ما، أنه لا يمكن تحليل الأمكنة إلا بعد الاستعانة بمجموعة من الفروع والمصطلحات التي ظهرت في ظل هذا الفرع، والتي قسمت إلى ثنائيات قطبية حسب الدارسين منها: (مفتوحة / مغلقة)، (أليفة / ومعادية)، ومن ثنائية المكان المفتوح والمغلق سننطلق لدراسة البنية المكانية في رواية الخيال العلمي (الإسكندرية 2050):

أ- الأمكنة المفتوحة والمغلقة :

1- الأمكنة المفتوحة : يتخذ المكان أشكالاً عديدة بالنسبة للإنسان الذي يستطيع أن يدرك الفروق بين مكان لآخر ، ومن بين هذا التنوع المكاني نجد الأمكنة المفتوحة التي تدل على تلك الفضاءات التي ليس لها حدود معينة وليس لها أبعاد تقوم بحصرها كالجدران ، والسقوف وما إلى ذلك ، وتدلل على تلك الفضاءات الواسعة التي يخرج بها الكاتب إلى الطبيعة التي تجري فيها عملية سرد الأحداث ، وتمثل الأمكنة المفتوحة هنا طريقة تواصل الشخصيات مع الحركة الخارجية أو مع الشخصيات الأخرى في سلسلة أحداث متتامة حسب طبيعة المكان المفتوح إن كان رئيسياً أم ثانوياً وقد يكون للأماكن المفتوحة دور بارز في تطور الأحداث ، وحركة الأشخاص وصراعاها، حيث تكون الأحداث فيها كثيرة مختارة بعناية القاص وحنكته من فوضى الحياة ومن مساحتها العريضة حيث تطفو الخطوط المتعلقة بعلاقة الإنسان بالمكان فيظهر المكان من خلال الإنسان ، فالمكان المفتوح بكل ما يحتويه هو نقطة الاتصال مع العالم والالتقاء والتواصل مع الآخرين ، ويحمل الانفتاح فيه معاني البحث والإطلاع والاكتشاف والتأثر بما يحيط بهذا من تيارات ومنطلقات وتأثيرات كبيرة ¹ وتكون هاته الأمكنة المفتوحة في العادة أيضاً وسيلة لإظهار العلاقات الاجتماعية والنشاطات التي تحدث داخلها ، كما تدل أيضاً هاته الأماكن على الانفتاح الفكري والثقافي الذي يسود في جماعة معينة ، و " ليس ثمة فوارق جوهرية في فعل مكان ما عن الآخر سوى تلك الفروق التي تحددها الورقة الإبداعية وانعكاسها النفسي ورؤيتها الفنية والمكان المفتوح هو الذي يتردد عليه الفرد دون قيد أو شرط مع عدم الإخلال بالعرف الاجتماعي ، وأي ممارسة سلوك غير سوي يرفضه المجتمع كالسرقة والعدوانية ، وهو عنصر أساسي تتحرك من خلاله الشخصيات الروائية ، فضلاً عن كونه عضيد الزمن الذي يتعامل معه

¹ - عبد الله خضر محمد ، روائع قرآنية دراسة في جماليات المكان السردي ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ص121.

الكاتب ...¹ "وهنا تصبح للأماكن المفتوحة أوجه متعددة ، ونجد أن القاص لهاته الرواية قد عرج على عدد كبير من هاته الأمكنة أيضا فقام بتصويرها ووصفها ، ليجسد من خلالها عدة دلالات تربطه بتلك الأماكن ، وتقوم هاته الفضاءات أيضا بالكشف عن الشخصيات والمجموعات الإنسانية التي مر بها البطل في مشوار حياته، خاصة تلك الفضاءات التي ارتبطت بالزمن الإسترجاعي في الرواية .

المدينة: تعتبر فضاء جغرافيا مفتوحا يشتمل عادة على عدد كبير من الأمكنة كالشوارع والمقاهي والبيوت والطرق و الفضاءات المتنقلة ، وقد شكلت المدينة في رواية الإسكندرية 2050 الفضاء " الذي يتم فيه العبور من الحاضر إلى الماضي كما أنها تجمع جميع فئات المجتمع من شباب وكهول وأطفال وتجدد لنا ميزة العلاقات الأسرية والصدقة"² إذ اشتملت الرواية على العديد من الأمكنة المفتوحة التي تتدرج ضمن هذا النوع من الفضاءات المفتوحة، نذكر منها :

1 - فلسطين (عكا): هي محافظة تقع في الأراضي الفلسطينية المحتلة تحت سلطة اليهود الغاشم ، وهي من أقدم المدن العريقة في فلسطين ، هاته المدينة تخضع اليوم لسلطة إسرائيل ، وتظهر مدينة عكا بشكل عام من خلال عملية استذكارية في ذهن البطل مشهور ليصفها في عدة أماكن من الرواية، وهي المدينة التي تركت أثرا بالغا في نفسيته باعتبارها مكان الولادة والطفولة المحرومة ، فحملت دلالات كثيرة ارتبطت بالمعاناة التي عاشها هو وعائلته في مخيمات اللاجئين بعد تهجيرهم من أراضيهم الأصلية ، شكل المكان بعدا آخر ارتبط بابنته سمر التي استقرت في مدينة عكا لتشكل بدورها تفرعا جذريا عن والدها في ذلك المكان ، وبصفة عامة يمكن أن نقول أن هاته المدينة شكلت الأصل الذي ينتمي إليه

¹ - قصي جاسم أحمد الجبوري ، المكان في روايات تحسين كرمياني ، مذكرة لنيل درجة الماجستير ، إشراف الدكتورة : منتهى طه الحراشة ، جامعة آل البيت ، 2016/2015 ، ص 92. نقلا عن : حسين فهد ، المكان في الرواية البحرينية، ص 190 .

² - عبد الحميد بورايو ، منطلق السرد في القصة الجزائرية الحديثة ، ديوان المطبوعات الجزائرية الحديثة ، الجزائر ، د.ط، 1994م ، ص 146.

الراوي، ولم ترتبط مدينة عكا بالمكان ظاهره وشكله الهندسي بل ارتبطت بالقيم والعواطف الشخصية التي اكتسبها البطل من انتماءه لهذا البلد وتحضر هاته المدينة في مقاطع عديدة من الرواية وفي أماكن متعددة داخل الرواية منها ،"كيف تفرح وأنت ابن النكبة الفلسطينية"¹ يقول أيضا: " كيف تفرح وقد عشت طفولة مغمسة بالطين اللزج ،تنعجن به في ليالي الشتاء القارصة ، وأنت تلعب تحت المطر ، بقدمين طفلتين لبنيتين حافيتين ..."² ، وهنا انعكاس لمكان مفتوح آخر وهو الشارع الذي كان يلعب فيه وفي قوله أيضا : " كيف تفرح وقد قضيت طفولة كسيرة بائسة تسير ثابت العزم في درب الملايا ، تحمل المياه بسطليين ثقلين من بطن الوادي وتنقلهما بمشقة ، وتحمل مسؤولية غلى الجبل ، لتروي بهما نباتات بندورة ..."³ ، ويشكل الوادي والجبل هنا أيضا أمكنة مفتوحة حملت دلالات التعب والمشقة التي كلف بها البطل في سن صغيرة من عمره بالمقارنة مع أبناء جيله الذين كانوا يقضون أوقاتهم في اللعب والمرح ، ذكر الكاتب فضاء مفتوحا آخر حمل أبعاد الخطر الذي كان يترصد الأطفال في تلك الأراضي المحتلة فيقول القاص في مشهد سردي آخر : " تسير في شارع الضباب ، وأنت تحمل الماء الثقيل (...) ، لصنع قنابل نووية صغيرة ترميها على قارعة الطريق كألعاب طفولية ، ليلتقطها الأطفال الأشقياء مثلك ، فتفجر في وجوههم ..."⁴ ، عبارة المكان المفتوح هنا هي شارع الضباب والطريق وهي أمكنة ارتبط ظهورها في الرواية بمدينة فلسطين .

لم يتمثل الحضور المادي لشخصية البطل في عكا إلى الفصل الأخير من الرواية إذ يقول أثناء عودته : "تقبل بوابة عكا الخشبية العملاقة المقوات بالمعادن العتيقة ، وتمشي معهم في حوارها وأزقتها"⁵ ، وفي النهاية ترجع عملية السرد للراوي الأول معلنا وفات البطل الذي يدفن في مقبرة في عكا ، يقول : " تم دفنه بمقبرة عكا الجديدة ، بحضور أبناءه وأحفاده

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 15.

² - المصدر نفسه ، ص 15.

³ - المصدر نفسه ، ص 16.

⁴ - المصدر نفسه ، ص 16 .

⁵ - المصدر نفسه ، ص 246 .

وأحفاد أحفاده وأهالي عكا الكرام¹ ، صورة المشهد السردي تعكس البعد الانتمائي للشعب الفلسطيني الذي يتمسك بأرضه فوفاة البطل أعلنت عن قدوم جيل كنعاني جديد في هاته الأراضي .

المدينة الفلسطينية والمحافظة العكاوية في الرواية هي صورة واقعية استدعتها عملية السرد بغية توضيح أفكار معينة ، ونقلتها من الواقع الهندسي لتعيد رسمها بالحروف والكلمات الدالة على فروعها وأزقتها وأبعادها الممزوجة بالعواطف القوية ، وشكل تواجدها أيضا فكرة ترمي بالرفض القاطع للواقع المسلط على الإنسان الفلسطيني الذي يقبع تحت عنف المستعمر اليهودي الذي انتهك الأرض وشرذ العباد.

2- /مصر (الإسكندرية): يقال فيها أنها عروس البحر ومعشوقة الأدباء والشعراء ، وهي من أكثر المدن حضورا في الأعمال الأدبية ، ويرجع ذلك لعاملين ، عامل مادي تمثل في كون المدينة تقع في قلب حضارة الأدب والأدباء (مصر) ، إضافة إلى الطبيعة الساحرة التي تتميز بها والتي تترك تأثيرا نفسيا قويا لدى كل من زارها فتصبح مركز استقطاب لكل من عاش فيها ولو أيام قليلة فتترك حنينها مزروعا في مخيلته ، ومن بين هاته الأعمال التي تبرز مدى سحر المدينة والطبيعة الإسكندرانية على نفسية الكاتب هي رواية الإسكندرية 2050 ، وتعتبر هاته الرواية من أبرز الأعمال الأدبية التي رسمت أجزاء من مدينة الإسكندرية بكل دقة ، وأكثر التفاصيل التي ركز على إبرازها هي تلك الأمكنة المفتوحة داخل المدينة والتي كشف فيها عن تعقيدات الحياة اليومية في علاقة الشخصيات الذين ينتمون لذلك المكان ، وقد قام بوصفها بأسلوب سردي مشوق ، وبواسطة الكلمات واللغة التي وظفها، استطاع المتلقي أن يزور هاته المدينة وهو جالس في بيته ، وصف المدينة هنا ارتبط ب فترتين زمنييتين مختلفتين ،إسكندرية 1966 وما يليها من سنوات قليلة ، وإسكندرية 2050 إلى حين عودة البطل إلى مدينة عكا وفي فترة قصيرة بالمقارنة مع الفترة الأولى .

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 247 .

يصور الراوي أن البطل كان مهووس بالطبيعة المصرية الساحرة ويسكنه الشوق والحنين للعودة إليها من جديد أين كان سيلتقي مع ابنه برهان وحفيده كنعان هناك فيقول: "وأما أنا فخاضع لغرامك المتحكم في أيتها الإسكندرية ، كم سنة مضت علي وأنا غائب عنك ، يقولون : إن البعد جفاء وأنا والله لم أجف ، ولكن الزمان جفا ..."¹ لتحمل المدينة في هاته اللحظة دلالة الشوق والحنين التي تسيطر على نفسية البطل ، يستمر الكاتب بسرد الأحداث إنطلاقاً من عودة البطل شاهر مشهور الشهري إلى أراضي مصر سنة 2050، وبتواجده في ذلك المكان يقوم باسترجاع للعلاقات المختلفة التي حدثت في أماكن متعددة كالشوارع والأبنية والمقاهي أي جغرافية المكان بكل تفصيل ، ومن الأمكنة المفتوحة داخل هذا الفضاء الجغرافي المفتوح والتي قام الراوي بذكرها نجد : "تتقدم الطائرة بجراً جسور فوق منطقة البحيرة ، وتقرب من شاطئ أبو قير الرجل الصباغ الحسود الحفود الكسول ، والذي ليس له صاحب ، سوى ذلك الرجل الطيب أبو قير"² ، شاطئ أبو قير مكان مفتوح ارتبط ذكره هنا بالقصة التاريخية التي ربطت اسم الشاطئ بشخصية شريرة دون ذكر للشخصية النبيلة لي طرح فكرة التاريخ الذي يخلد الشخصيات الشريرة ويدفن الشخصيات الطيبة ليرتبط هنا بقصة ذات مرجعية واقعية .

"وعلى الرصيف العريض المزروع بأشجار الفيكس اللامعة الخضرة - نفس أشجار مدينة طولكرم - تشاهد لافتة صفراء كبيرة كتب عليها (أهلاً بكم في الإسكندرية)..."³ هذا الشارع شكل منطلقاً لبداً حياة جديدة سيعيشها البطل في هاته المدينة ومن هنا تنطلق علاقاته الجديدة مع الشخصيات المختلفة وتفاعلاته المتغيرة في كل مكان سيزوره ، ومن بين تلك الأماكن نجد شارع كليوبترا الحمامات "في زقاق ضيق من هذه المنطقة سكنت أول مرة خلف عمارة ما زلت تحفظ رقمها 815/12 طريق الجيش ، حيث كانت أم عربي تستأجر شقة

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 8 .

² - المصدر نفسه ، ص 11 .

³ - المصدر نفسه ، ص 51 .

فارغة في الزقاق المذكور في منطقة كليوبترا الحمامات ...¹ يعتبر المجال الجغرافي في هذا المقطع مسرحاً لأحداث جديدة ربطته مع أم عربي مالكة الشقة التي أقام فيها وابنتها الصبية نادية وصديقة المقرب محمد محمد من مدينة المنصورة ،يقوم البطل هنا بقص ذكرياته التي ربطت تواجده بهذا المكان فيقول في أحد المقاطع : " في الصباح الأول بعد ليلة رأس السنة ، تنظر إلى شوارع إسكندرية البحرية الإغريقية الهوى ، والتي شملها إعصار سهرة ليلة السنة ، فتشاهد جميع صحنون الدنيا القيشاني الصينية البيضاء والمزركشة، وحتى قلل الفخار القديمة قد أسقطت عمداً من الشرفات والشبابيك العليا في العمارات ، قبل انتصاف ليلة رأس السنة"² نجد أن التيار السردى الذي ارتبط بتصوير ووصف المكان قد عكس أيضاً تفاصيل العادات والتقاليد الراسخة لسكان الحارة الشعبية في زقاق كليوبترا الحمامات التي حضرت بحضور المكان في الرواية ، يوظف الكاتب مكاناً مفتوحاً آخر لكن تواجده كان معادياً للبطل وصديقه إذ أن ذلك المكان كاد أن يمحيهما من خارطة الحياة يقول القاص هنا : " تراقب صفحة البحر المفتوحة على الكون كله ، الكرة الأرضية والسموات العلا ...، تنظر في بطن اليم ، تفاجأ بمشاهدة سمكة ضخمة تتطلق تحت أرجلنا تدقق النظر ، إنها سمكتان ضخمتان ، ثلاث سمكات ، عدة أسماك رصاصية طويلة جريئة تنزلق تحتنا لم تكن يومها تعرف سمك القرش من سمك التعريفة ، ولكنك تشعر برعب وخوف شديدين ..."³ .

إن المكان المفتوح في النص (البحر) شكل نقطة التقاء بين المكان الجميل الذي يسحر كل من رآه والمكان الخطر الذي يحتوي على كائنات عدائية تعيش تحت الماء ، هذا التناقض أو الاختلاف يظهر حسب العوامل المحيطة التي تربط الشخص بالمكان . وفي نهاية الأحداث التي عاشها في مصر يقول : " خروجك من الإسكندرية لا يختلف عن خروج آدم من الجنة ، بعده حدثت لآدم لوثة دماغية ، أو فوضى حواس ، أو غموض في الرؤيا ،

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 81 .

² - المصدر نفسه ، ص 127 .

³ - المصدر نفسه ، ص 154 .

أو عقد نفسية ، هذا ما حصل معك ...¹ ، يرصد الراوي في هذا الملمح الرابطة القوية التي ربطته بهذه المدينة والعلاقة القوية التي رفضت أن تغادره تاركة ذكريات جميلة ارتبطت بعلاقات شخصية متعددة ، وهذا الاسترجاع التاريخي لحياة البطل في الإسكندرية لم يسعى السارد من خلاله لتوضيح أية فكرة بقدر ما سعى إلى تصوير حياة السكندريين البسطاء وطريقة عيشهم والأيام الجميلة التي جمعتهم معهم .

أما الظهور الثاني لهاته المدينة فكان خيالاً مبنياً على تقدم علمي وتكنولوجي في مجالات عديدة صورها الكاتب في هاته الرواية ، إذ تتغير مدينة الإسكندرية بكل ما فيها وتختفي مظاهرها القديمة بعد خضوع المدينة تحت سيطرة التفرعات الأجنبية للبلدان الغربية، ويشتمل هذا الفضاء على عدة أماكن مفتوحة أخرى سنقوم بذكرها في عنصر (فضاءات الخيال العلمي في الرواية) .

3-1/ الصين (شنغهاي) : مثلت الجانب الطبي المتطور والمتفرع في جميع أنحاء العالم الغربي والعربي ، يقول الراوي : " هذا الفرع (الأوربي العربي) لمدينة شنغهاي الطبية الدولية للأمراض الباطنية ، معظم عملياته الاستشارية تتم عن بعد بواسطة أجهزة الكمبيوتر ، وحتى الإبر الصينية فيه تنغرس بتوجيهات من المركز ...² .

2_ الأمكنة المغلقة : هو فضاء جغرافي له حدود خاصة ، ويمكن للشخص الولوج فيه أو الإقامة داخله ، " وهو يمثل غالبا الحيز الذي يحوي حدودا مكانية تعزله عن العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيق بكثير بالنسبة للمكان المفتوح ، وقد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة لأنها صعبة الولوج ، وقد تكون مطلوبة لأنها تمثل الملجأ والحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيدا عن سخب الحياة .³ ، أي هو مكان لعيش الإنسان ويكون في مجال جغرافي هندسي ذو حدود مرسومة كالمنازل والبيوت والفنادق وما إلى ذلك وقد تكون من صنع الطبيعة

¹ - صبحي فحمائي ، الإسكندرية 2050 ص 224 .

² - المصدر نفسه ، ص 10 .

³ - عبد الله خضر محمد ، روائع قرآنية ، ص 121 .

كالكهوف والأماكن التي تحتوي على حدود مرسومة كالمنازل والبيوت والفنادق وما إلى ذلك وقد تكون من صنع الطبيعة كالكهوف أو البؤر التي تشكل مجالات جغرافية متنوعة.

في رواية الإسكندرية 2050 تعددت الفضاءات المغلقة بتعدد المواقف والأحداث والرحلات من مكان إلى آخر ، هاته الأمكنة عكست العلاقات الداخلية التي ربطت البطل مع الشخصيات الأخرى ، وفي غالب الأحيان وظفت لتعكس الحياة السائدة في مجتمع ما، وبعض الأمكنة المغلقة في الرواية حملت دلالات متعددة في حين أن البعض الآخر جاء متمما للمقصودية أو الفكرة التي يريد الكاتب إيصالها ومن الأمكنة التي حملت دلالات متعددة هي : **الخيمة** التي ولد فيها مشهور وظفها الكاتب هنا باعتبارها رمزا يوحي إلى المعانات والحياة القاسية التي عاشها البطل في مرحلة الطفولة في مخيمات اللاجئين وحملت أيضا دلالة الاغتراب عن الجذر الأصلي الذي ينتمي إليه البطل.

بيت أم عربي : هو المكان الأول الذي شكل إقامة البطل عند قدومه الأول من مخيمات اللاجئين إلى الإسكندرية ، إذ شكل المرحلة الانتقالية الأولى في حياة البطل، ترك هذا البيت إيقاعا خاصا في نفسية البطل ارتبطت ذكرها بالفتاة ناديا ابنة أم عربي

بيت أبو جرجس : هو المكان الثاني الذي سكن فيه مشهور رفقة صديقه ، وقد حمل البيت دلالات مختلفة من أبرزها الحنان والدافئ العائلي إضافة إلي الهدوء والراحة والسكينة ، خاصة أن غرفة البطل كانت تطل على بحر الإسكندرية الساحر ، شكل البيت هنا مكانا دائما للبطل إلى حين تخرجه من كلية الهندسة وبالفعل بعد تخرجه غادر المنزل تاركا ذكرياته هناك التي اختلطت بمنعطفات اجتماعية ونفسية ودينية أحيانا ، فالعائلة التي ارتبط بها هي من أصل مسيحي .

أما **الفندق** بنوعيه سواء في المرحلة الماضية أو الحاضرة فقد عكس المكان البديل والمؤقت والذي يدل على عدم الاستقرار والانتماء، فقد شكل الفندق الأول النقطة الانتقالية من القاهرة إلى الإسكندرية ولم يقدّم الكاتب بتصويره تصويرا دقيقا كل ما ورد عن هذا المكان انه مكان قرميدي ويطل على البحر فقط ، تواجد البطل في هذا المكان لم يدم طويلا ، إذ

كانت مجرد ليلة قضاها هناك فقط ، أما فندق الإسكندرية فشكل العالم الثاني في الرواية العالم المتقدم ومكان الإيواء للبطل وابنه وحفيده ، حمل هو الآخر دلالات متعددة ارتبطت بالأحداث والعلاقات الداخلية التي ظهرت بظهور هذا المشهد الروائي من بينها دلالة الراحة النفسية والهدوء وأبعاد الإنسانية في غير الإنسان والتي برزت في شخصيات الإنسان الآلي المساعدة للإنسان الطبيعي ، وارتبط حضور الخصية الرئيسية هنا بمرحلة لبداية عالم اخضر جديد مبني على السلام القائم بين جميع المخلوقات على وجه الأرض ، وشكل الفندق نقطة انطلاق لظهور مكان مغلق آخر في الرواية، تجسد هذا المكان في مستشفى شنغهاي الإسكندرية أين أرسل الفتى كنعان لإتمام فحوصاته ، يحمل المستشفى عادة طبيعة المكان الذي يذهب إليه الشخص المريض من أجل العلاج ، وهو المكان الذي يحتوي على شخصيات عديدة بدءا من الطبيب إلى العامل البسيط، وفي هذا المكان أصبحت السيطرة للرجل الآلي الذي فرض سيطرته في مجال الطب أيضا ، ومثل هذا المكان نقطة التقاء بين (برهان) و(إلزا) و(مشهور) (إلزا) هي شخصية أجنبية مسالمة جاءت أيضا من أجل الفحوصات المتعلقة بابنتها الخضراء التي تشبه الحفيد (كنعان) ارتبط هذا المكان بدلالة الفرح والسعادة عند اكتشاف أن فحوصات الحفيد (كنعان) سالمة وأن صحته أحسن من صحة الإنسان العادي شكل المستشفى هنا دلالة العلاج والتعارف ولم ترسم أبعاده رسما دقيقا في الرواية فكان مسرحا للأحداث التي ربطت الراوي بتلك الشخصيات فقط.

3- فضاءات الخيال العلمي في الرواية :

رواية الخيال العلمي هي تلك التي تبني على فكرة استشرفيه تنبؤية نحو استكشاف المستقبل ، منطلقا من نظريات علمية (تطبيقية -نظرية) وتطورات تكنولوجية مزوجة بخيال جامح لينتج عن ذلك عالما جديدا له أبعاده الزمنية والمكانية الخاصة، وفي غالب الأحيان تأتي هاته الصورة مختلفة تماما عن عالم اليوم ، وهو ما شاهدناه في رواية الخيال العلمي (الإسكندرية 2050) التي غيرت مجرى الزمن لتتطلق إلى المستقبل مغيرة بذلك كل الفضاءات التي اشتملت عليها مدينة الإسكندرية والعالم ككل بأسلوب سردي اقرب للحقيقة .

فضاءات الخيال العلمي في هذه الرواية هي تلك الأمكنة التي ليس لها وجود في الواقع ، لكنها بنيت على نظريات موجودة في الواقع فعلا ، وهي عبارة عن فضاءات متخيلة قد تشكل تواجدا فعليا في المستقبل ، فنجد أن صبحي فحماوي في روايته هذه قد خلق عالما جديدا مستعينا في ذلك بتقنيات أدبية ونظريات علمية متعددة ، والمتلقي يجد نفسه هنا سارحا في عالم مستحدث رسمته كلمات اللغة وأسلوب الراوي في صورة تتم عن المقدرة الإبداعية التي تميز بها الكاتب في هذا العمل الروائي ، وهو ما لمسناه في أعماله الأخرى.

إن فضاءات الخيال العلمي المتعددة عادة ما تختلف من فضاء روائي إلى آخر باختلاف الفكرة التي يريد الكاتب معالجتها ن قد تكون متموقة على الأرض أو في الكواكب البعيدة أو حتى في أعماق الأرض أو العوالم الموازية أو في بقعة ما من هذا الكون، و يرجع هذا التنوع الفضائي في قصص وروايات الخيال العلمي إلى المواضيع اللامحدودة التي يعالجها هذا الفرع الأدبي ، وغالبا ما تبدو فضاءات الخيال العلمي قريبة من الأسلوب السحري والخرافي الذي نجده في قصص الأساطير والفتازيا ، وهذا ما يطرح إشكالية لدى الكثير من القراء الذين لا يفرقون بين ما هو خيال علمي وما هو أسطوري فتتكون لديهم نظرة سحرية لهاته الفضاءات باعتقادهم أنها لا تمت للحقيقة والواقع بشيء ، غير أن ما يميز فضاءات العلمي هو استناد الكاتب في رسمه اللغوي للأمكنة على معطيات من الواقع في هيكلة نظريات علمية وتطبيقية مختلفة ويستعين في ذلك أيضا على مرجعيات تاريخية واقعية يستطيع من خلالها أن يبني نضرته حول المستقبل .

في رواية الإسكندرية 2050 ضمن الكاتب صبحي فحماوي فكرة استشرافية انطلقت من عنوان الرواية الذي عكس المضمون كأصغر تلخيص للرواية هذا العنوان شكل منطلقا بنى عليه الكاتب مجموعة من الفضاءات التي ارتبطت ارتباطا وثيقا مع الزمن ، فعالم الرواية الآن هنا هو عالم 2050م والقارئ لا يزال في زمن متأخر عن هذا التاريخ وهذا ما يبعث لديه بنظرة مستقبلية حول إسكندرية الغد حسب إشارة العنوان كما قلنا آنفا ، وقد شكل الزمن هنا منطلقا رئيسيا لتشكيل الفضاءات المتخيلة التي كان يعيش فيها بطل الرواية مشهور

الشهري وابنه وحفيده المختلف جينيا عن الإنسان الطبيعي ، هاته الفضاءات منها ما هو امتداد للواقع ومنها ما هو جديد ولم يحدث بعد ، فكرة الفضاء المتخيل هنا حملت عدة أفكار ومن بينها قدرة الإنسان في بعث السلام على هذه الأرض والعالم ككل .

ومن بين الفضاءات التي تتدرج تحت مضلة الخيال العلمي داخل الرواية هي مدينة عكا، إذ افتتح الراوي هنا حكايته بدءا من هذا المكان معتبرا إياه منطلقا فضائيا لأحداث الرواية هذا المكان بطبيعة الحال مرتبط بالواقع فعليا، لكن الاختلاف هنا هو أن المكان في زمن لم نعيشه بعد ، فهو ينتمي إلى عالم 2050م وهو يختلف كلياً عن المكان الموجود اليوم ، ويظهر هذا الاختلاف بالتطورات الحاصلة هناك والتي صورها الكاتب على شكل تطور تكنولوجي، وعلى هذا الأساس فإن الفكرة الموظفة هنا هي فكرة تنبؤية لفضاء متطور تكنولوجيا لكن هذا الفضاء لم يحن بروزه بعد، ومن أبرز مظاهر التقدم الحاصل هناك ، ظهور شبكة خاصة تعمل في المخابرات والتجسس ن وقد ركز الكاتب على هذا المكان وعلاقته بالشخصية الرئيسية ، فقد شكلت هاته الشبكة فكرة رئيسية قامت عليها أحداث الرواية ، والتي أخذت بعدها منحى استرجاعي للأحداث التي عاشها البطل مشهور، واعتبارا من هذا الفضاء يتحول محور السرد إلى راو ثاني تجسد دوره في دور البطل مشهور، ويقول الكاتب عن هذا المكان :

" الزمان : 2050-9-25

المكان : عكا

نحن شبكة إنتاج ، متخصصة بالتجسس على عباد الله ، منذ لحظة الولادة ، وحتى لحظة الوفاة ، وبناءا على معلومة تقول : إن المحتضر يتهالك على سريريه خلال الساعة الأخيرة من عمره ، فيتذكر كل الذي مضى ، ويستعيد ذكرياته من المهد إلى اللحد ، فتمر الأحداث كلها مضغوطة في محيلته بسرعة مذهلة ، يتذكر فيها كل شيء ، وكأنه يعيش الآن ، فإن عملنا يقوم على تسجيل رقمي لكل ما يدور بخلد الإنسان في تلك اللحظات الفاصلة ¹ ،

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 05 .

يجد القارئ نفسه هنا أمام عالم جديد متقدم زمنيا عن الزمن الذي نعيش فيه في فضاء متقدم فكريا وتكنولوجيا ، ولعل أبرز ما حمله هذا المكان هو تصارع الإيديولوجيات السائدة بين الحاضر والقديم من جهة والمستقبل من جهة أخرى ويجسد ذلك في فكرة احتضار الميت الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة على سماع القرآن الكريم أما في المستقبل فيجد نفسه مستلمة لتقنيات جديدة تنخر ذاكرته وتكتشف أسرار الدفينة ، مفعلا بذلك تقنية السرد المتخيل الذي انزاح به عن الواقع ودخل به إلى عالم الخيال العلمي فهناك نظريات كثيرة أثبتت بأن الإنسان يستطيع أن يسترجع كل ذكرياته وهو يحتضر ، ولم يتوصل العلم إلى اليوم إلى سبيل يستطيع من خلاله تسجيل ما يدور بخلد الإنسان ، ولم يكتفي الكاتب هنا بجعل هذا الفضاء منطلقا رئيسيا للأحداث الروائية بل خصه ليجعل منه خاتمة للأحداث الروائية ، ليعاد الربط فكريا وموضوعيا مع نقطة البداية ، وينتهي السرد هنا بموت البطل ، ومن الفضاءات المتنقلة في الرواية والتي تتدرج بدورها ضمن فضاءات الخيال العلمي هي الطائرة الهيدروجينية التي ارتبطت ببداية سرد الأحداث ، وقد شكل هذا الفضاء بالنسبة للبطل بعدا انتقاليا حمله من دبي إلى الإسكندرية ، قام الكاتب بتصوير هاته الوسيلة والتقنيات المتطورة التي اشتملت عليها هذا المكان المغلق إذ يقول القاص هنا : " هذه الطائرة الهيدروجينية المرهفة المصنوعة من الورق الخفيف المقوى بنفس صلابة المعادن ، تحت سر ذرة الكربون المتواجد في الحديد الصلب وهي نفس الكربون _ بشكل أو بآخر _ المتواجد في الورق " ¹ ، قام المؤلف هنا بإبراز التقنية العلمية التي وظفها داخل الرواية بأسلوب سردي يتماشى مع أحداث الرواية ، فكان هذا المكان مكان إقامة للبطل لكنه الإقامة هنا مؤقتة مربوطة بمدة زمنية معينة ، انتهت بالهبوط في مطار الإسكندرية الدولي .

وظف الكاتب هذا المكان الاصطناعي بغية هدف آخر وهو الحفاظ على كينونة الطبيعة بكل ما فيها من خيرات ومعادن صناعية وطاقات قد تنفذ من الاستهلاك المفرط الغير عقلاني من طرف البشر إذ يقول : " تقوية ذرة الكربون في الورق كي يصير بمثابة ذرة

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 14 .

الكربون في الفولاذ ، ولا في خفة وزن الورق الذي تصنع منه الطائرات الحديثة بدل المعادن بهدف تقنين استهلاك معادن الصلب التقليدية التي لم تعد متوفرة في العالم ولا يهتمك الآن ما يطورونه لتخفيف وزن المركبات وعلى رؤسها الطائرات ، لتمنح خفتها ببساطة في الصناعة وسرعة في الطيران وتوفيراً للطاقة " ¹.

لم يهتم البطل بهاته التقنيات لأن كل تفكيره كان منصب على لقاء الابن برهان والحفيد كنعان ، والذي كان لقاءهما مبرمجا في مطار الإسكندرية الجديد.

ولم يرد المؤلف توظيف هذا المكان باعتباره وسيلة نقل تنتقل فيها الشخصية الرئيسية من مكان إلى آخر فقط ، بل أراد إيصال فكرة الخطر الذي ينتظر العالم جراء التصرف الخاطئ الذي سيؤدي إلى نفاذ خيرات الطبيعة ، وهنا طرح أفكارا من شأنها توفير طاقات بديلة وبسيطة وبصلابة المعادن الأخرى ، وخاصة في مجال الطيران ن وهذا سيؤدي إلى تخفيض استهلاك الطاقة بالمقارنة مع الطائرات الحالية وحماية الطبيعة من مخلفات حرق الطاقة كذلك ن وقد أطلق الكاتب على هاته الطائرة اسم (إيرباص 636) ، وهنا أيضا استعمل أحد الخصائص الفنية اللغوية للخيال العلمي وهو خلق اللغة والمفردات الجديدة ومن بين فضاءات الخيال العلمي داخل البنية السردية للرواية نجد أيضا مطار الإسكندرية 2050 ، وهو فضاء خيالي ذو طبيعة متطورة جديدة على تلك التي نراها في المطارات المختلفة في عصرنا الحالي ، ويصف الكاتب هذا المكان قائلا : " يدخلك البساط المتحرك من فم الطائرة الهروجينية إلى مبنى مطار الإسكندرية الدولي ، الذي تصميمه يشبه مدينة فضائية انفلتت من مجرة بعيدة ، فهبطت خلف مدينة الإسكندرية (...) لا يضيع مسافر في هذه المدينة فإشارات التوجه مثبتة في كل مكان ، والعجائز والأطفال يركبون سيارات كهربائية مجانية تقلهم إلى المعبر الذي يشاءون" ² ، وهنا نجد إشارة أخرى إلى فضاء مغلق آخر ينقل المسافرين من المطار إلى حيث يريدون التوجه ، وهاته التقنية تجسدت في السيارات

¹ - صبحي فحموي ، الإسكندرية 2050 ، ص 27 .

² - المصدر نفسه ، ص 39 .

الكهربائية الهوائية التي يقودها الإنسان الآلي الذي برمج على عدة لغات وعلى معلومات كافية للإجابة على تساؤل الركاب ، وأغلب المظاهر المكانية للخيال العلمي في مدينة الإسكندرية ارتبط ظهورها بعد هيمنة المدينة الصينية التي جعلت لها امتدادا على الأراضي المصرية ، وذلك بعد صفقات تمت بين المدينتين لتحصل بعدها على هاته المساحات الشاسعة وتضع فيها امتدادا لها داخل هذا البلد (مصر)، هاته الصفقة حولت مدينة الإسكندرية إلى مدينة متطورة تكنولوجيا بكل النواحي ليس في الطائرات والمطارات فقط، بل حتى في الفندق الذي أطلق عليه الكاتب اسم (جوانج تشو) ، وهو فضاء خيالي ليس له امتداد واقعي ، ويسبر هذا المكان مجموعة من البشر الآليين ، ولهذا المكان مساحة وصفية كبيرة في البنية السردية للرواية يقول الكاتب : " أمام واجهة الاستقبال ، يذكر برهان للمرأة الآلية رقم الحجز ، فتتأكد من مطابقته وتتحني ، وترحب بنا ترحيبا شديدا ، ثم تقول : أرجوكم أن تنتظروا هنا في القاعة قليلا لتجهيز الجناح لاستقبالكم ، نجلس في بهو الفندق على المقاعد الهوائية المنفوخة فتشاهد في الزاوية اليمنى تمثالا كبيرا للنتين الصيني الأصفر وهو يضع قدميه مجسما للكرة الأرضية ..."¹ ، وهنا يطرح الكاتب مشكلة سياسية واقتصادية تجلت فكرتها ، في خضوع العالم للسيطرة الصينية والهيمنة الغربية للعالم العربي ككل من دول العالم المتقدمة علميا وتكنولوجيا واقتصاديا ، ويواصل السارد طرح تفاصيل المكان إلى حين مغادرته من الإسكندرية إلى مكان وفاته عكا.

من الأمكنة الخيالية الموظفة داخل الرواية نجد أيضا مستشفى شنغهاي ، وهو فرع طبي يتواجد في مدينة الإسكندرية تابع للفرع الطبي الرئيسي في مدينة شنغهاي ، يصف الكاتب هذا الفضاء المتقدم علميا خاصة في المجال الطبي الذي تجسد في إجراء عمليات جراحية بعيدة المدى بواسطة أجهزة كمبيوتر ، يقول الراوي عن هذا المكان : " هذا الفرع الأوربي العربي الإفريقي لمدينة شنغهاي الطبية الدولية للأمراض الباطنية ، معظم عملياته الاستشارية والجراحية تتم عن بعد بواسطة أجهزة الكمبيوتر وحتى الإبر الصينية فيه تنغرس

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 75 .

بتوجيهات من المركز¹ ، وقد ارتبط تواجد هذا الفضاء الخيالي داخل الرواية بتواجد المخلوق الأخضر الذي يحمل خاصية العالم الأخضر النباتي الناتج عن جينات مختلفة من النبات، وقد تجسد هذا الكائن الجديد في شخصية كنعان حفيد بطل الرواية مشهور شاهر الشهري، ارتباط المكان بهاته الشخصية تجسد في الفحوصات التي قدم من أجلها برهان وابنه من أجل الفحوصات ، يقول القاص عن هذا المكان : " ندخل بهو مستشفى شنغهاي، فيستقبلنا أحد الرجال الآليين الذين يتحركون خلف حاجز الاستقبال فيعرض عليه برهان رقم ملف ولده المدون على جهاز المحمول ، فيطلع الرجل عليه ، ثم يستقبلنا بحفاوة وترحيب، ويطلب سيارة نقل سريره ، فتحظر الآلية بسرعة ، فينام فيها كنعان ، وتنقله حالا إلى غرفة الفحص² ، يلعب الفضاء دور المتكفل لتجارب الإنسان الأخضر الجديد الذي يتسم بالطبيعة المسالمة لجميع المخلوقات .

هذا المكان كما سبق وشرنا حمل دلالات متقابلة للشخصيات الرئيسية في الرواية إذ ارتبط المكان هنا بنجاح التجارب الفيزيائية على هذا المخلوق البشري الأخضر الجديد ، شكل هذا الفضاء أيضا منطلقا لظهور شخصيات جديدة في الرواية ارتبط حضورها بخاتمة الرواية ، وهاته الشخصيات تحمل أبعاد مسالمة اتجاه العالم ككل بصفة عامة واتجاه الشخصيات الأخرى بصفة خاصة .

رواية الإسكندرية 2050 اشتملت على بعد مكاني آخر حمل طابع المدن الفاضلة التي تحمل دلالة السلم والأمن والعيش من أجل العيش وليس من أجل أغراض أخرى ، هذا الفضاء بدوره شكل عالما جديدا متخيلا لبعض الشخصيات الروائية ، تمثل هذا المكان في عالم مثالي ناتج عن تطور الجنس البشري والحيواني من كائنات طبيعية إلى كائنات خضراء ناتجة عن جينات نباتية متزاوجة مع جينات بشرية أو حيوانية ، وهي رؤية استشرافية للكاتب من خلال التطورات العلمية الحاصلة في مجالي الهندسة الوراثية والطب،

¹ - صبحي فحموي ، الإسكندرية 2050 ، ص 10 .

² - المصدر نفسه، ص 167 .

يبدو هذا العالم الجديد الذي طرحته رواية صبحي فحماوي عالما غير الذي نعيش فيه اليوم، يقول الكاتب عن هذا الفضاء الكاتب : " الناس الذين يسعون في الأرض لونهم أخضر، وبعوضة وذبابه خضراوين تلاعبان نحلة وفراشة خضراوين بسعادة بالغة وهن طائرات بين أفرع شجرة و أرفة الضلال ، وعلى أحد أغصانها يأتلف نسر وحمامة خضراوين ، وتحت الشجرة خراف وماعز خضر تتعاق مع أسود ونمور لونها أخضر بمحبة واسترخاء " ¹ ، نجد أن الكاتب هنا يحاول إخراج صورة حية لهذا العالم الجديد ، فيصور للقارئ مظاهر السلم والأمن القائمة بين المخلوقات الخضراء التي ستتجرد من العنف والعداء بظهور هذا الفضاء الجديد ن وهنا تلغى مبادئ القوة والضعف في عالم متساوي يتغذى من نور الشمس .

لم تقف فكرة العالم الجديد على السلم فقط بل أيضا حملت فكرة التخلص من مظاهر التمييز العنصري ، وفي هذا يقول كنعان في موضع ما من الرواية : " أنا سعيد بكوني من جيل أخضر رائد على سطح الأرض ، ليس لوني الأخضر هو المميز فقط ، بل الشكل والمضمون ، والأهداف الإنسانية التي تغيرت ، فالعالم بعد تعميم الإنسان الأخضر لن يعود يرى الجنس الأسود ، ولا الأبيض ، ولا الأصفر ، كل هذا التمييز اللوني سينتهي ، ولن يبقى هناك تعصب ولا اضطهاد عرقي ، وكل الناس سيكونون سواسية ، كأسنان المشط إنه مستقبل بديع يا جدي " ² ، هاجس الطموح إلى عالم أفضل يسيطر على أحداث الرؤية الاستشرافية العامة للرواية ، إذ جسدت الرواية نبذا للعالم الحالي أين يسود الظلم والاستغلال والتمييز العنصري على المجتمعات الإنسانية والحيوانية والطبيعية ، والتي ستؤدي بالعالم إلى الدمار ، وارتبط هذا المكان أيضا بعدة قضايا سياسية واجتماعية وعلمية وثقافية .

فضاءات الخيال العلمي عموما هي فضاءات متخيلة وغالبا ما تنبذ الواقع محاولة أن تأخذ به إلى الأفضل وهذا ما لمسناه في رواية الإسكندرية 2050 التي بنيت على فكرة قدوم جيل جديد في عالم جديد وزمان جديد يسوده الأمن والسلام

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 137 .

² - المصدر نفسه ، ص 77 .

ثالثا - بنية الشخصيات الروائية في رواية الخيال العلمي .

1- مفهوم الشخصية الروائية (لغة واصطلاحا) :

لقد تعددت التعريفات اللغوية لهذا المصطلح (شخصية) بحسب تعدد المعاجم اللغوية العربية والأجنبية ، وتعريف هذا المصطلح في معجم لسان العرب جاء تحت (مادة شخص) على النحو الآتي: "الشخص سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد، وكل شيء رأيته جسمانه فقد رأيته شخصا، والشخص كل جسم له ارتفاع وظهور وجمعه أشخاص وشخوص، وشخص يعني ارتفع والشخوص ضد الهبوط وشخص بصره أي رفعه فلم يطرف، وشخص الشيء عينه وميزه عما سواه." ¹ هنا نجد تركيزا على الرؤية الظاهرية الجسمية المادية فقط.

في حين نجد بعض التعريفات اللغوية لهذا المصطلح التي ذهبت في رؤيتها للشخصية إلى منحى مغاير، فنجد تعريفا مختلفا للشخصية في المعجم الوسيط الذي يرى أنها: "الشخصية صفات تميز الإنسان من غيره ويقال فلان ذو شخصيه قويه ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل" ² ، فنجد أن التعريف انحنى منحى آخر عن الجانب الحسي للشخصية وذهب نحو الجانب النفسي عن طريق وصف مميزات الشخصية وقدراتها وأفعالها هذا من الجانب اللغوي، أما من الجانب الاصطلاحي فقد تعددت تعريفات الشخصية بتعدد الرؤى التي تتمايز من باحث إلى آخر وتباينت بتباين مذاهب الكتابة القصصية ، ويرجع ذلك للميزة الرئيسية التي تخص بها الشخصية داخل المسرد الروائي باعتبارها ركنا أساسيا في بناء الصراع أو الأحداث التي تقوم عليها الرواية، والمقصود بالشخصية الروائية هنا، هي كل شخصية واردة في البنية النصية للرواية سواء كان حضورها مساعدا أو معاديا، رئيسيا أو هامشيا ، وتختلف الشخصية في المزاج والمواقف والآراء المختلفة والمتباينة من رواية إلى أخرى ويتم التعبير عن هاته المواقف المختلفة عن طريق تفاعل الشخصية مع الآخرين ، فكل شخصية تفاعل مع مجموعة من الشخصيات وعلاقات تربطها بأخرى ، و "الشخصية

¹ - جمال الدين ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ص36 .

² - إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية، تركيا ، د ط ، د ت ، ص475.

إضافة إلى مسابق ذكره، مركب إنساني اجتماعي يحكمه اتساق ليس متجانس بالضرورة عضوي وبيئي وثقافي شامل، فتتضوي تحت العضوي، الملامح الشكلية والنفسية، والبنية الجسدية والجنس وتتضوي تحت البيئي، مجمل العناصر الجغرافية والتاريخية والانتماء القومي والعنقي وما إلى ذلك، ويشمل الثقافي كل البنى التي ينطبق عليها مفهوم ما فوق العضوي في السلسلة التصاعدية التي اقترحها سبنسر لتوصيف الوجود وتسييره.¹

والشخصية في رواية الخيال العلمي توظف توظيفاً متعددًا قد تكون الشخصية حقيقية وقد تتحول إلى خياليه أو عجائبية إضافة أن الرواية الواحدة قد تشمل عدة أشخاص، شخصيات تحمل الصفات الإنسانية العادية وشخصيات غير عادية تنتج أحياناً عن الأبحاث المتعلقة في مجال الطب والهندسة الوراثية، إضافة إلى أنها تشتمل على كائنات غير أرضية مثل تلك التي تدرج في مواضيع الرحلات الفضائية أو غزو الكائنات الغريبة للأرض، وتتنوع الشخصيات الممزوجة غالباً بين المرجعية الواقعية والخيالية في سلسلة منتظمة مع المواضيع التي يريد المؤلف أن يخوض فيها، وتشكل هاته الشخصيات محور الأحداث السردية شأنها شأن الروايات والمواضيع الأدبية الأخرى.

2 - شخصيات الخيال العلمي في الرواية الإسكندرية 2050:

الشخصيات التي نجدها في المجالات المتعددة للخيال العلمي هي شخصيات متنوعة ومتعددة بتعدد المواضيع المختلفة، تكون في بعض الأحيان ناتجة من تجارب واقعية مرتبطة بأبحاث علمية نظرية وتطبيقية وفي مجالات متعددة، لعل أبرزها هي تلك الكائنات أو الشخصيات الناتجة عن الطفرات الجينية في اختصاص الهندسة الوراثية والطب، ونجد ذلك في روايات عديدة، كرواية جريمة عالم، وجزيرة الدكتور مورو وما إلى ذلك، ولا يقتصر حضور هذه الشخصيات في هذا المجال فقط، ففي بعض الأحيان تأتي عبارة عن كائنات غير أرضية وذات أبعاد مجهولة كالكائنات الفضائية التي نجدها في بعض

¹ -صلاح صالح، سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2003، ص100.

المواضيع الروائية التي تدخل في مجال الخيال العلمي ، كالعوالم الموازية وأوبرا الفضاء وغزو الأرض من مخلوقات غريبة وكذلك في مواضيع السفر عبر الزمن ، وأحيانا تأتي هذه الشخصيات في طبيعة إنسانيه عاديه ، غير أنها تختلف في بعض المجالات الحياتية التي تميز الإنسان العادي في قصص وروايات تختلف عن روايات الخيال العلمي ، وتجدر الإشارة هنا أن الشخصيات الخيالية لا تأتي من عدم أو من سحر أو خرافه كما في القصص الأسطورية والفتنازية ، وفي رواية الإسكندرية 2050 نجد أن هناك بعض التوظيف لهاته الشخصيات الغرائبية والتي شكلت حضورا لها في أغلب الفصول الروائية ، وقد ارتبطت تواجدها هنا بمجال الهندسة الوراثية ، إضافة إلى الآلة الناتجة عن التقدم التكنولوجي ومن بين هذه الشخصيات نذكر:

شخصيه كنعان: هي شخصية إنسانية لكن تختلف بيولوجيا عن الإنسان العادي ، شكل تواجدها في الرواية حضورا ثانويا مساعدا للشخصية الرئيسية ، وقد جاء توظيف هذه الشخصية بغية إيصال فكرة معينه ، وهي فكره تنبؤيه عن قدوم عالم أخضر يسوده السلام، وبطبيعة الحال فإن اللون الأخضر غالبا ما يدل على الراحة والأمن والسلام .

يشير الكاتب صبحي فحماوي أن شخصية كنعان لم تولد كالإنسان العادي فولادتها ارتبطت بجينة وراثية مأخوذة من نبتة البرتقال ، يقول الكاتب: "ما أبهى حفيدي الأخضر المشوق (...)" ، طبعا يا أبي يجيبك برهان مزهرا بولده مادام أبوه خليه من جسدي وأمه خليه من ورقه برتقال فلما لا يكون بلون خضره البرتقال؟...¹ ، وما يعاب في هاته الرؤية أو الفكرة أن المرأة ستفقد وظيفتها البيولوجية في الإنجاب الطبيعي، في أن يحمل المولود صفات الأم الموروثة ، فأم الولد كنعان هي خلية من ورقه برتقال ممزوجة بجينات وراثية من أمه البيولوجية التي منحتة حياة داخل بطنها ، ولهذا ولد عبارة عن مخلوق اخضر مختلف عن الإنسان الطبيعي ، وهناك عدة تساؤلات عن مصير هذا الكائن الأخضر داخل الرواية ، وهل سيسيطر فعلا على العالم بقدوم زمن يصبح الحكم في يد هاته المخلوقات في عالم

¹- صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 62 .

يسوده السلام بعيدا عن الظلم والتمييز العنصري فنجد في الرواية عدة مقتطفات حول هاته الرؤى من بينها: "ترى هل تنجح عملية التخدير هذه، فيسيطر الحيوان الأخضر على هذا الكون الحيواني المتوحش؟ هل نشهد مرحلة انتقالية جديدة بعد الإنسان الأول، الذي تحضر فانتقل إلى مرحلة الإنسان الثاني، وما هو بعد أن توحشت حضارته ودمرت الأرض، تراه يتشكل بتكوينه الأخضر، فتشهد مرحلة الإنسان الثالث الأخضر؟"¹ ، ولعل هاته الفكرة ناتجة عن النظرية الداروينية حول تطور الجنس البشري ، وهي رؤية تحمل العديد من القضايا المتعلقة بقدم هذا العالم الجديد ، يقول في موضع آخر: "لقد اثبت الإنسان التقليدي انه ليس صالحا فما أدراك أن الله يريد أن يورثها لعباده (الخضر) الصالحين؟.."² ، ويضيف في فصل آخر: "يسيطر عليك القلق في محاولة نوم القيلولة في فندق جوانج تشو هذا، فتجذب تفكر في فحوصات حفيدك كنعان متسائلا: هل يسير برهان في اتجاه صحيح ، وتتجح مختبراته الخضراء في نزع مخالب الإنسان ؟"³ ، كلها تساؤلات عن بروز عالم جديد يستطيع أن يعيش فيه الإنسان بعيدا عن المخاطر التي نشهدها في عالم اليوم أين صار القوي يسيطر على الضعيف و يأكل جميع حقوقه، خاصة ما نراه في الدول المتقدمة و سيطرتها في مختلف المجالات على الدول الضعيفة.

إن شخصية كنعان في الرواية هي شخصية قوية مسخرة للحب والسلام ، ولا تحمل أي صفه عدوانية أو أبعاد سلبية فهي تختلف كل الاختلاف عن الكائنات الأخرى، يقول الكاتب عنها : "في المدرسة يا جدي يوجهونا لتعلم العلوم والفنون والحب معلمونا يؤكدون على استكشاف الفضاء بهدف المعرفة، وليس غزو الفضاء بمعنى الاعتداء، ويطالبونا بالتودد للحيوانات وليس قنصها، والتعارف بين الشعوب وليس غزوها..."⁴ .

¹ - ، صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ص 27 .

² - المصدر نفسه ، ص 98 .

³ - المصدر نفسه ، ص 115 .

⁴ - المصدر نفسه ، ص 64 .

ارتبط ظهور المخلوق الأخضر بالرؤية التنبؤية القائمة على رؤية استشرافية لعالم يسوده الأمن السلام ، وتدخل هاته الرؤية ضمن مواضيع المدن الفاضلة في قائمة مواضيع أدب الخيال العلمي، فالنظرة الإستشرافية هنا بنيت على قدوم عالم جديد قائم على العدل والحب والمساواة بين جميع المخلوقات ، فلا يوجد غني ولا فقير ولا يوجد تلوث ولا أمراض ولا يوجد نهب لخيرات الطبيعية حتى التعامل معها يصبح سلميا -أي الطبيعة- دون نزف شيء منها، ولا يصبح هناك تمييز بحسب لون البشرة كما نراه اليوم في عصرنا الحالي وفي عصور مضت، يقول السارد عن هاته الفكرة : "أنا سعيد بكوني من جيل أخضر رائد على سطح الأرض، ليس لوني الأخضر هو المميز فقط، بل الشكل والمضمون، والأهداف الإنسانية التي تغيرت، فالعالم بعد تعميم الإنسان الأخضر لن يعود يرى الجنس الأسود ولا الأبيض، ولا الأصفر، كل هذا التمييز اللوني سينتهي، ولن يبقى هناك تعصب ولا اضطهاد عرقي، وكل الناس سيكونون سواسية كأسنان المشط إنه مستقبل بديع يا جدي!..."¹

وعليه يمكن القول أن شخصية كنعان قد رسمها الكاتب لتتوب عن جيل أو مجتمع قادم ، إضافة إلى أن هاته الشخصية قد حملت أبعاد تنبؤية عن العالم الجديد في الرواية والقائم على أسس علمية واجتماعية تختلف عن الأسس التي تنتمي إلى عالمنا هذا ، غير أن العملية البيولوجية لا تزال خيالا جامحا فلم يثبت علميا صدق هاته التجربة التي نشأت بها الكائنات الخضراء بعد زرع خلية نبات مع خلية إنسان إلى يومنا هذا.

من بين الشخصيات الخيالية أيضا نجد:

شخصيه مونيك: حضورها في الرواية كان ثانويا مساعدا في مجرى الأحداث الروائية ، هي صديقة كنعان ، حضورها في الرواية يظهر عند التقائها بالفتى كنعان داخل المستشفى الذي أجرى فيه فحوصاته الأخيرة أين كانت هي الأخرى تقوم بنفس هاته الفحوصات ، لم يذكر الكاتب تفاصيل الطريقة التي ولدت بها مونيك على عكس الشخصيتين السابقتين ، وقد حملت هاته الشخصية أيضا بعدا سلميا للإنسان والحيوان والنبات.

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 77 .

لم يقتصر ظهور المخلوق الأخضر أو الامتداد التطوري للإنسان الحالي على هاته الشخصيات فحسب ، بل في الرواية إشارة إلى تواجد عدد كبير من هاته الشخصيات المستحدثة لكن تواجدها في الرواية كان سطحيا فقط يقول السارد: "وبينما نحن نعود إلى فندقنا، تشاهد عالما من الشابات والشباب الأخضر ينزلون من سفينة سياحية عملاقه على شاطئ الإسكندرية وهم يتراكمون بمرح، مع كل منهم حيوان أخضر، كان عددهم يزيد على ثلاثة آلاف شخص أخضر،...¹ ، وهنا ينتهي حضور المخلوق الأخضر داخل الرواية .

3 - الأبعاد الخارجية لشخصيات الخيال العلمي:

يقصد بالأبعاد الخارجية تلك الصفات الشخصية الفيزيولوجية التي يتميز بها كل شخص عن الآخر، وهي متعددة كالطول والوزن ولون البشرة والعينين...وما إلى ذلك .

كنعان: عرج الكاتب صبحي فحماوي إلى بعض الصفات الفيزيولوجية لهاته الشخصية ، ولعل الصفة البارزة لها هو اللون الأخضر للبشرة والذي ميز هاته الشخصية عن الشخصيات الإنسانية الأخرى ، يقول الراوي: "لقائك مع ولدك وحفيدك الأخضر سيعيد روحك...² ، وهنا يدرك القارئ الطبيعة التي ميزت هذه الشخصية في اختلاف لون البشرة، وفي وصف آخر يذكر الراوي: "بالأحضان يا كنعان الحبيب، صرت طويلا يافعا وعمرك ما يزال عشرة ربيعا ما شاء الله يا كنعان هكذا تنمو أخضر يافع، مثل النباتات الظليلة الجميلة يخزي العين!"³ هذا الوصف يعطي لنا صورة عن سمة الطول الذي كان يتمتع به الولد كنعان ، حيث شبه الكاتب هذا الطول بطول النباتات الظليلة الجميلة التي توفر طلة بهية ومأوى للإنسان والحيوان ، وهنا نجد أن الكاتب قد أشار إلى دالتين ، الأولى هي الفكرة النفعية السلمية الجميلة لهذا الإنسان الجديد ، والثانية توحى بالبعد البيولوجي المكون لهاته الشخصية التي نشأت من خلية نباتية زرعت في الصفات الوراثية لديه.

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 245 .

² - المصدر نفسه ، ص 61 .

³ - المصدر نفسه، ص 61 .

يستمر الكاتب في الكشف عن الصفات الخارجية لكنعان إذ يقول في موضع آخر: "تخلج من إبداء ملاحظتك كون حفيدك الأخضر كنعان يحتضن كلبا أخضرا صغير الحجم، ويلبس ملابس شفافة، مصممة بلباقة لاستقبال أشعه الشمس لإجراء عملية التمثيل الكلوروفيلي، وكى تقيه من العوامل الجوية، وكأنه في (مايوه) البحر، كنت قد شاهدته عاريا تماما وهو طفل صغير فقلت أنه ما يزال.. أما وقد صار طولك..."¹ ، فكرة العري هنا لم ترتبط بمفهوم العري كما ينظر إليه الناس في يومنا أو عصرنا الحالي ، فالسمة هذه قد أصبحت صفة غير ملاحظة في عالم 2050 ، إذ يذكر الراوي أن الناس في هذا الزمن لن يستغربوا من هاته المناظر في الشارع أو في أي مكان فيقول: "... ولكن الإسكندرانيون البحريين لن يستغربوا عريك حتى لو كنت بمايوه السباحة ثم إن الناس - هذه الأيام - تعودوا على مشاهدة النساء الكاسيات العاريات، ولا يدهشهم كنعان، سواء كان لابسا عريه، أم متعريا من لباسه"² ، ويثبت الكاتب رؤيته هنا إلى مقولة جبران خليل جبران في كتاب (النبى) الذي يقول فيه: "إن ثيابكم تحجب الكثير من جمالكم، ولكنها لا تستر غير الجميل ويا ليتكم تستقبلون الشمس والريح بثياب بشرتكم، عوضا من ثياب مصانعكم، إن الأرض تبتهج بملامسة أقدامكم العارية، والرياح تتشوق إلى مداعبه شعورك المسترسلة...."³

يوصل الكاتب وصفه فيقول: "... شعره عشب نخيل أخضر، يقف مشربا كثيبا نظرا لامعا، وفي وجهه وجسده لمعة وطرارة أوراق البرتقال وخضرتها!"⁴ ، إن هاته الصفات تبرز أهم الخصائص الخارجية التي تدل في الغالب عن الإيديولوجيات الفكرية والاجتماعية لرؤية معينة في المجتمع ، خاصة وأن هاته الشخصية تشكل انتماءا عن تفرع جديد للإنسان العادي ، وهاته الصفات تبرز أهم ما يميز هذا الإنسان الجديد.

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 61 .

² - المصدر نفسه ، ص 61 .

³ - المصدر نفسه ، ص 61، 62.

⁴ - المصدر نفسه ، ص 62 .

مونيكاً: تعتبر من الشخصيات الثانوية كما سبق وأن أشرنا، ونجد أن الوصف الفيزيولوجي لهاته الشخصية لم يكن واسعاً ، وذلك لأن حضور مونيكاً في الرواية لم يكن دائماً أو طويلاً ، إذ نجد أن تواجدها في البنية السردية لم يظهر إلا في الفصول الختامية للرواية، يقول السارد عن هاته الشخصية: "أعرفك على السيدة الألمانية (إلزا)، وعلى ابنتها الجميلة (مونيكاً)، القادمتين ضمن مجموعة الخضر (...)"، تلاحظ احتفاء كنعان بصديقتها مونيكاً ذات الشعر العشبي الأخضر المنسدل كذيل حصان أخضر على ظهرها الشبه العاري...¹ ، وهنا دلالة عن لون البشرة وطبيعة ولون الشعر فقط ، يقول القاص أيضاً في وصفه للفتاة: "تضحك مونيكاً حيية، فتتجلى جمالية جسدها الأخضر النظر وهي تواصل حديثها بالألمانية..."²

امتداد الفتاة مونيكاً يعود لأصول غربية ، غير أن الصفات الملازمة لهاته الفتاة لا تعكس ذلك ، فعالم الخضر هو عالم جديد يخفي الأصل اللوني ويلغي التمايز في عالم يتصف فيه الإنسان بنفس مواصفات الآخر الذي ولد بسلام ويعيش بسلام ويتعامل بحب ووئام مع أخوه الإنسان وكل الكائنات الطبيعية ، وربما قصد الكاتب من توظيف هاته الشخصية إيضاح هاته الفكرة التي تلغي التمييز العرقي بين البشر.

4 - الأبعاد الداخلية لشخصيات الخيال العلمي:

الأبعاد الداخلية هي تلك المظاهر السيكولوجية (النفسية) التي ترسم وتشكل الشخصية من الداخل ، وتتجلى هاته المظاهر غالباً - داخل الرواية - من خلال تلك المشاعر والأحاسيس الصادقة النابعة من الشخصيات في تواجدها الملازم داخل البنية السردية للأحداث ، وتظهر عادة أثناء تفاعل الشخصية مع الشخصيات الفاعلة داخل الرواية وقد تنعكس هاته الأبعاد من خلال وصف الراوي للشخصية أو من خلال حديثها أو تعاملها مع إحدى الشخصيات المتواجدة في الرواية.

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 229 .

² - المصدر نفسه ، ص 243 .

أبرز الخصائص التي تشكل البعد الداخلي للشخصية هي المشاعر والعواطف أو موقف الشخصية من حدث معين ، إضافة إلى الحالة التي تبرز من ملامح الخارجية للشخصية، فالملامح الخارجية عادة ما تشكل انعكاسا عن الحالة الشعورية الداخلية لشخص ما، وعلى هذا الأساس تعدد الأبعاد السيكولوجية للشخصيات الروائية.

كنعان: يظهر البعد السيكولوجي على شخصية الولد كنعان من خلال عدة مشاهد درامية في الرواية ، رسمها المؤلف من خلال انفعالات الشخصية في الرواية في تفاعلها مع المحيط الذي تواجدت فيه ، وارتبط هذا التواجد بمدينة الإسكندرية في زمن 2050 ، والأبعاد الداخلية لهاته الشخصية بعثت رؤيا تنبؤية لعالم أكثر سلمية.

وبصفة عامة يمكن القول أن الصفة الداخلية أو البعد النفسي العام الذي تشكلت منه شخصية كنعان في الرواية ، هو البعد السلمي الذي تميزت به الشخصية عن غيرها من الشخصيات الأخرى، إضافة إلى خلوها من المشاعر العدائية لجميع الكائنات الحية بما في ذلك الطبيعة الجامدة ، تجدر الإشارة هنا أن حضور الشخصية لم يقتصر على البعد السلمي فقط ، فقد تعددت المشاهد السردية في وصف البيئة السيكولوجية لشخصية كنعان خاصة تلك التي تظهر في تفاعلها مع شخصية الجد مشهور ووالده برهان ، ويشير الكاتب صبحي فحمائي في بعض المقاطع إلى صفات الخجل ، وهي حالة نفسية تظهر على الإنسان من خلال سماعه لشيء ما، هاته الصفة هي شيء مشترك بين الإنسان الطبيعي والإنسان الأخضر، يقول الراوي هنا: "تتغزل بكنعان قائلاً: هنيئاً للبنات اللواتي سيعشقنك!" "فيخجل منك قائلاً: أخجلت تواضعي يا جدي!"¹، أما مشاعر السلام فتظهر في فصول عديدة داخل الرواية من بينها نجد قول الراوي على لسان كنعان: "في المدرسة يا جدي يوجهونا لتتعلم العلوم والفنون، والحب معلمونا يؤكدون على استكشاف الفضاء بهدف المعرفة وليس غزو الفضاء بمعنى الاعتداء، ويطالبونا بالتودد للحيوانات وليس قنصها والتعارف بين

¹ - صبحي فحمائي ، الإسكندرية 2050 ، ص 63، 64.

الشعوب وليس غزوها...¹، وتواجهه في الرواية ارتبط أيضا بتواجد الكلب الصغير المرافق له ، والذي ارتبط معه في علاقة ملازمة تعكس صورة الصداقة بين الإنسان والحيوان الأليف، وفي الرواية عدة مقاطع تبرز الأحاسيس الداخلية لشخصية كنعان اتجاه هذا المخلوق الصغير، يقول الكاتب: "ويقفز كنعان بخفة محتضنا كلبه ذا الشعر الأخضر الغزير..."² ، والاحتضان عادة ما يرتبط بعدة روابط قوية من بينها الصداقة والحب ، يقول الكاتب أيضا في مقطع يوضح العلاقة التي تربط كنعان بالجرو الصغير: "ينبح كلبه الأخضر بهدوء نباحا معترضا، يشعرنا بأنه يؤيد وجهة نظر صديقه كنعان..."³ ، فالعلاقة هنا هي علاقة صداقة.

يصف الكاتب في موضع آخر مشاعر الاستغراب والاشمئزاز والرفض القاطع لبعض التصرفات الإنسانية التي تدمر العالم الطبيعي لأشكال البيئة معتبرا إياه استغلال للطبيعة الحرة فيقول كنعان: "أستغرب كيف ينقض الإنسان ويتعدى على ممتلكات الحيوانات، ويشرب حليبها، ويحطم خلايا نحلها، ويسرق منها العسل؟ يجب أن تبقى الطبيعة حرة دون نهش، يجب أن لا تكون حياتنا مبنية على موت الآخرين! يجب أن لا نقتل ونذبح ونتغذى كي نعيش! يجب أن نعيش وندع الكائنات الحية الأخرى تعيش مثلنا - هذه الكائنات نادرة متكاملة على سطح هذه الكرة الأرضية النادرة في الوجود الكوني، فكيف نقتلها؟"⁴ يعكس هذا المقطع المشاعر الصادقة والنبيلة لشخصية كنعان اتجاه العالم الحر لجميع المخلوقات. في الرواية أيضا إشارة إلى أن الفتى كنعان يتصف بصفة الذكاء وهي ميزة داخلية، إذ يقول الجد هنا: "كم أنت ذكي ومتقف يا كنعان الحبيب! أدهشني منظر البحر مثلك"⁵، ليعكس الكاتب هنا أيضا بعدا داخليا وهي صفة الدهشة التي لازمت الحالة النفسية لكنعان

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص 64.

² - المصدر نفسه ، ص 65.

³ - المصدر نفسه ، ص 73.

⁴ - المصدر نفسه، ص 72.

⁵ - المصدر نفسه ، ص 76.

عند مشاهدته للبحر ، ويقول الراوي في مشهد آخر: "يبدو القلق في عيني كنعان الخضراوين وهو يسأل: "هل سنذهب الليلة إلى المستشفى يا أبي؟"¹ وهنا الحالة الداخلية انعكست من السمة الخارجية التي ارتسمت في عيني كنعان ، وهي عواطف القلق التي صاحبت فكرة الذهاب إلى المستشفى لإجراء الفحوصات الداخلية في مستشفى شنغهاي (الإسكندرية)، غير أن مشاعر القلق هاته لم تدم طويلا ، إذ تنتقل فجأة إلى مشاعر السعادة عندما يقول لجده: "أنا سعيد بكوني من جيل اخضر رائد على سطح الأرض، ليس لوني الأخضر هو المميز فقط بل الشكل والمضمون والأهداف الإنسانية التي تغيرت..."² ، وأغلب الأبعاد الداخلية لشخصية كنعان رسمت أبعاد لمظاهر السلام في هذا الإنسان الجديد الذي تختلف أحاسيسه و نظراته نحو العالم عن نظره الإنسان العادي.

شخصية مونيكا: لا يوجد في الرواية أوصاف دقيقة للأبعاد الداخلية لهاته الشخصية سوى تلك التي رافقت الحالة الشعورية الظاهرة على وجه الفتاة وهي الضحك المعبر عن الفرح .

¹ - صبحي فحماوي ، الإسكندرية 2050 ، ص76.

² - المصدر نفسه ، ص 77.

خاتمة

الآن وبعد رحلة البحث الشاقة هانحن نقترّب من نهاية هذا العمل ، وقبل ذلك سنقوم بعرض حوصلة شاملة لما توصلنا إليه من نتائج ، ولا يمكن لهذه الخاتمة أن تعكس الجهد المبذول طيلة عملية البحث السابقة بل تبقى مجرد ملاحظات عامة ترمي بظلالها على أبرز ما توصلنا إليه ، ولهذا السبب سنحاول أن نتجنب الإطالة قدر الإمكان مع الحرص على إجمال ما أسفرت عنه هاته الدراسة والتي حاولنا من خلالها أن نلم بجميع الجوانب التي تخص جنس أدب الخيال العلمي ، وخاصة في العالم العربي ، وذلك لمعرفة ما إن استطاعت الساحة العربية أن تجد أصلا جذريا لها في هذا الفرع أما لا .

وقبل الحديث عما توصلنا إليه من نتائج ، نقف برهة ونخبر كل من كان لديه قدر في قراءة هذا العمل سواء كان قارءا مطالعا أو باحثا ، أو أستاذا ناقدا أو مناقشا، بأننا نخطئ إذا قلنا أن عملنا مكتملا لأن كل ما قدمناه يبقى حاويا لثغرات قد يلاحظها القارئ العادي والقارئ الحصيف .

والآن سنقوم بعرض أهم النتائج المتوصل إليها في حدود البحث وهي كالتالي :

- أدب الخيال العلمي هو جنس مستحدث في الساحة العربية والغربية ككل ، وبالرغم من أن هناك من يرى أن هذا الفرع هو إنتماء لبعض الأشكال الكتابية التي ترجع لعصور مضت، لكن هاته الكتابات لم ترقى في أن تصبح منطلقا رئيسيا وهنا يكمن الاختلاف القائم بين مجموعة من الباحثين والنقاد ممن إهتموا بالبحث في أصول الخيال العلمي
- يمكن للخيال العلمي أن يأخذ عناصر القصة بشكل مختلف عن الأنواع الكتابية الأخرى ، بحث يمكن العناصر الخيالية من إنشاء قواعد ونظريات علمية خاصة بكل عمل إبداعي أدبي يندرج ضمن هذا المجال ، وعلى هذا المستوى يخلق الخيال العلمي كونا يعمل فيه بقواعده ومبادئه الخاصة ، والتي تجعل منه كونا مستقلا مكتفيا بذاته عن الأشكال التعبيرية الأخرى .

_التقدم في العلوم والتكنولوجيا هي الركيزة الأساسية للخيال العلمي ، إهتمامه الرئيسي هو تفسير المستقبل في الإتساق المنطقي وعلاقة السبب بالنتيجة ، خاصة بما يتعلق بكتابات

أدب الخيال العلمي الإجتماعي ، التي تقوم بعمل تنبؤات خيالية ومنطقية بالفرص التي توفرها البيانات العلمية ، بحيث يعمل دور المنبه لبعض المخاطر الناتجة عن هاته البيانات العلمية المختلفة كمشاكل التلوث ومخاطر العلوم أن لم تستخدم في محلها ، فهدفه الأساسي مموه في فكرة أنظر ما ينتظرنا .

_ أدى التطور السريع للخيال العلمي إلى تحديد العديد من الأنواع الفرعية وهاته الأنواع بدورها بدورها تقسم إلى قسمين رئيسيين ، أدب الخيال العلمي الصعب ، وأدب الخيال العلمي اللين يستند الأول على العلوم الدقيقة أما الثاني فيرتكز على معطيات العلوم الإجتماعية .
- يعد أدب الخيال العلمي مصدر حياة ونماء ، خاصة في العالم الغربي الذي جعل لهذا الفرع أقساما تدريسية ،ومسابقات متنوعة تشجيعية خاصة وأنا هذا الفرع يستقطب عددا كبيرا من الشباب بمجالاته المختلفة .

_ استجابة أدباء الغرب للثورة الصناعية التي حدثت في أوروبا جعلتهم يبدعون في مجال الخيال العلمي بأعمال لا مثيل لها ، اعتبرت بدورها انطلاقة فعلية لأدب الخيال العلمي وخاصة تلك الأعمال التي ارتبطت بأسماء لامعة في مجال الخيال العلمي كجول فيرن في فرنسا وجورج ويلز في بريطانيا .

_ صدق نبوءة بعض الكتابات ، جعل الإقبال على الفرع يزداد إلى حد كبير خاصة بعد دخول هاته الأعمال إلى مجال السينما

_ سجلت بعض الأعمال من القصص العربية كسلايف أولى لأدب الخيال العلمي، مثل قصة حي بن يقضان،وقصص ألف ليلة وليلة ،ويرجع بعض النقاد والدارسين أن أصل أدب الخيال العربي يرجع لهاته السلايف لما احتوت عليه خصائص مشتركة مع هذا الجنس المستحدث .

- ارتبط ظهور هذا الفرع كجنس مستقل بذاته في العالم العربي في الفترة التي تزامنت مع عصر النهضة التي بلغت ذروتها في كل من مصر، وسوريا ،حيث فتح الأدباء أعينهم على جنس جديد لم يكن معروفا من قبل ، فبدأت محاولات في هذا المجال بتأثير واضح من

الترجمات فكانت الرواية الأولى في لمصطفى محمود تحت عنوان العنكبوت ، وأغلب الأعمال العربية في هذا المجال حملت مواضيع مرتبطة بتلك المواضيع السابقة التي برزت في العالم الغربي .

_ يشكل الواقع نقطة ارتكاز لأدب الخيال العلمي، فمن الواقع يأخذ الأديب فكرته ليبني عالمه الجديد بناءً على ذلك ، ولما كان كان الواقع العربي متأخراً عن الغربي فبطبيعة الحال أن نشهد تأخراً في تطور هذا الجنس المستحدث خاصة في طبيعة المواضيع .

-يرجع الباحثون هذا التأخر إلى الافتقار إلى التطور العلمي في العالم العربي ، فضعف التطور العلمي في الأمة ينتج عنه ضعف في التفكير العلمي ، ويرجعونه أيضاً إلى الرقابة الشديدة على الأعمال الأدبية التي قد تخالف بعض العادات والتقاليد .

- من بين الكتابات التي يشهد لها في هذا المجال هي رواية صبحي فحماوي عن عنوان الإسكندرية 2050 ، وهي رواية تتحدث عن زمن بعيد عن زمننا هذا ، استطاع الكاتب من خلالها أن يصور عالماً افتراضياً عن عوالم متخيلة تعكس الصراع بين القديم والمستقبل المتطور تقنياً حيث تغزو الآلة جميع الميادين

- اشتملت الرواية على العديد من الأفكار المرتبطة بمختلف المجالات العلمية كالهندسة الوراثية والصناعة التكنولوجية إضافة إلى سبل العيش التي تختلف كلياً عن زمننا هذا.

_ من بين الركائز التي اعتمد عليها المؤلف في رسم عالمه المستقبلي هو عنصر الزمن والذي تجلّى لنا بدءاً من العنوان الرئيسي للرواية (الإسكندرية 2050) ، وقد وظف مختلف التقنيات التي تدخل في هذا العنصر وركزنا هنا على خاصية الاسترجاع والاستباق ، وذلك لأن فكرة قائمة على زمن ماضي يرجع فيه القاص إلى طفولته وشبابه ، أما الزمن المستقبلي فانعكس من توقعاته بقدوم جيل أخضر لبني البشر يختلف في العديد من الموصفات الداخلية والخارجية التي يتميز بها البشر العاديون ، وتجدر الإشارة هنا أن رواية الخيال العلمي تعتمد على خرق خط الزمن الطبيعي وهذا ما وجدناه في هاته الرواية .

إضافة إلى عنصر الزمن نجد أن الكاتب قد أبدع في البنية المكانية التي اعتمدها في روايته ، من أمكنة مفتوحة ومغلقة ، وأخرى معادية وأليفة ، وقد لعبت هذه الأماكن دورا بارزا في الكشف عن تقنيات الخيال العلمي التي وظفها في الرواية .

- من التقنيات الأخرى التي نجدها في الرواية هي البنية الشخصية ، وتمظهراتها داخل هذا العمل الفني الذي ينم عن تمكن الكاتب في رسم عوالم جديدة جديدة بجميع أبعادها، إذ حرص الكاتب على إنتقاء شخصياته من مختلف طبقات المجتمع ،ليعكس لنا طبيعة الحياة الاجتماعية مصورا بذلك مصير البشرية في ظل العولمة والتكنولوجيا

تُعكس الرواية مجتمعا مسالما متحابا وهو ما تحمله مواضيع المدن الفاضلة التي تدخل حيز الخيال العلمي .

وفي الأخير نقول : نرجو من الله أن يوفقنا في هذه الدراسة ، فإن أصبنا فهو من الله تعالى وما كان من نقص أو قصور فمن أنفسنا والشيطان ومن شر ما خلق الله سائلين المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا .

ملاحق



الملحق الأول: السيرة الذاتية للكاتب :

اسمه الكامل صبحي أحمد خليل فحماوي من مواليد 1948م بمدينة أم الزينات بمحافظة حيفا فلسطين ، خريج جامعة الإسكندرية قسم هندسة الحدائق عام 1969م ، حاصل على دبلوم دراسات عليا في هندسة الحدائق أيضا

من جامعة لوس أنجلوس في أمريكا 1983م ، عمل محررا في جريدة الرأي في الفترة الممتدة من سنة 1975م إلى 1980م ، ومنذ هذا التاريخ ولغاية الآن لزال يعمل في مجال هندسة الحدائق ، عمل سابقا مديرا للتحرير في مجلة سامر الأطفال ، كذلك شغل منصب رئيس تحرير لمجلة المهندس الزراعي التي تصدر عن نقابة المهندسين الزراعيين ، رئيس تحرير مجلة الزراعة في الأردن والتي تصدر عن وزارة الزراعة ورئيس تحرير مجلة المزرعة والحديقة التي كانت تصدر في قبرص وتطبع في الأهرام ، وهو أيضا عضو في رابطة الكتاب الأردنيين ، واتحاد الكتاب العرب ، وعضو نقابة المهندسين الزراعيين ، وجمعية مهندسي الحدائق الأمريكية ، وجمعية البيئة الأردنية ، كتب نصوصا مسرحية ، منها مسرحية ثورة الفلاحين والتي حازت على الجائزة الأولى في جامعة الإسكندرية وحصلت على الميدالية الذهبية عام 1969م .

للكاتب مجموعة من الأعمال الإبداعية في مجال الرواية ومن هاته الأعمال نذكر:

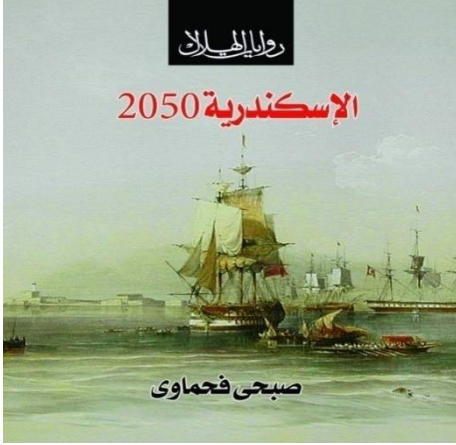
- (1) _رواية (عذبة) عن دار الفارابي ، بيروت 2005م.
- (2) _رواية (الحب في زمن العولمة)،روايات الهلال ، القاهرة 2008م.
- (3) _رواية (حرماتان ومحرم)، روايات الهلال ، القاهرة ، 2007م.
- (4) _رواية (قصة عشق كنعانية) ،دار الفارابي، بيروت ، 2009م .
- (5) _رواية (الإسكندرية 2050) ، دار الفارابي ، بيروت ، 2009م.
- (6) _رواية (الأرملة السوداء)، روايات الهلال ، القاهرة ، 2011م.

- (7) _رواية (على باب الهوى) ، دار الفارابي ، بيروت ، 2014م .
- (8) _رواية (سروال بلقيس) ، مكتبة كل شيء الحيفاوية ، فلسطين ، 2014م.
- (9) _رواية (صديقتي اليهودية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2017م .
- _للكاتب خمس مجموعات قصصية هي :**
- (1) _ (موسم الحصاد) ، دار الكرمل ، عمان ، 1987م.
- (2) - (رجل غير قابل للتعقيد) ، للمكتبة الوطنية ، عمان ، 1997م
- (3) _ (صبايا في العشرينات) ، مدبولي الصغير ، القاهرة ، 2006م
- (4) _ (الرجل المومياء)، دار الفارابي ، بيروت ، 2006م.
- (5) _ (فلل حار) ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، 2012م .
- _شارك الكاتب بدراسة في ملتقى الرواية العربية في القاهرة 2010م
- _شارك في مهرجان عبد السلام العجيلي الروائي في الرقة بسوريا
- _عضو اللجنة التحضيرية لمؤتمر جامعة جرش الثقافي السنوي .
- _حصل من وزير الثقافة الفلسطيني على درع (معرض رام الله الدولي للكتاب) سنة 2014م.
- _تم تكريمه في خلال ندوة خاصة بأدبه في حلقة الفكر المغربي سنة 2015م.
- _للكاتب ثلاث مواقع في شبكة التواصل الإجتماعي facebook: (الروائي صبحي _ أخبار الرواية _ صبحي فحماوي).

البريد الإلكتروني الخاص بالكاتب :email(subhifah@gmail.com)

الخلوي: 00962798807977 .

الملحق الثاني : ملخص الرواية:



رواية "الإسكندرية 2050"، رواية عربية للأديب والروائي صبحي فحماوي، نشرت سنة 2003م، عن طريق دار الهلال للنشر والتوزيع، تتكون من 252 صفحة.

تنقسم الرواية إلى 37 فصل ، تدور فكرة الرواية حول شاب فلسطيني يدعى مشهور ، سافر من فلسطين إلى

مصر ليكمل تعليمه الجامعي ،بعد أن ذاق ذرعا من المعانات التي عاشها في المخيم ، يقوم القاص هنا بوصف ما تحمله مشهور من قسوة و حرمان و صبر ومع أنها لوحة حزينة إلا أننا نجد الكاتب قد أبدع في رسمها بألوان ممتعة ففيها طرافة وفكاهة ، ومثال ذلك تصويره البديع لعلاقة الطفل مشهور بحماره؛ إضافة إلى طبيعة العلاقة بين أمه زكية وأبيه الذي تأتمر بأمره ، إلى جانب طبيعة علاقته بجده أنيسة التي جعلت منه أحمقا في تعامله مع الأنثى بسبب تحذيرها له من الفتيات مذكرة إياه دائما أن "درب البنات شوك" ، السرد المتعلق بهاته الأحداث ارتبط بالزمن الاستذكاري ، أما زمن الرواية الحقيقي فكان في زمن الشيخوخة المرتبطة بعمر البطل ،هذا الزمن يختلف كثيرا عن الفترة التي عاشها في طفولته وشبابه هو زمن مرتبط بمكان متقدم جدا عن عالم الإسكندرية القديم الذي قدم إليه من أجل الدراسة ، يصور الكاتب هذا المكان بكل ما فيه من تطور علمي وتكنولوجي في مختلف المجالات إذ تحمل الرواية فكرة عن ما ستؤول هاته المدينة بعد سنوات عديدة ، حملت هذه الرؤية نظرة عن الهيمنة الغربية على الدول العربية والتي ستبسط أجنحتها على الدول الضعيفة ، تحدثت الرواية أيضا عن فكرة التنبؤ بقدوم جيل ثالث يشكل امتدادا للإنسان ، يتميز هذا الجيل بلون البشرة الموحدة لجميع المخلوقات وهو اللون الأخضر ، ويتصف هذا الجيل بسلميته ووفائه الذي تفوق به عن بني البشر العاديين حملت هاته الفكرة أيضا نضرة استشرافية عن إلغاء التمايز العنصري الناتج عن اللون العرقي لبني الإنسان .

هذا وقد ربطت الرواية العديد من الأزمنة فنجد الزمن الماضي الذي يعو عنه حنين مشهور والأمل في المستقبل، بالتأكيد على عنصر الزمن وما سيحدث في المستقبل القريب بالاعتراف بوجود شبكة للتجسس مقرها عكا في الزمان والمكان المحددين، وأن مشهور

يخضع لجهاز المخابرات بطلب من ابنه برهان؛ لأنَّ الوالد وصل من العمر إلى مائة عام، ويريد أن يعرف خواطره الماضية، وعليه فأتينا نجد أنَّ الرواية خاضعة أيضاً إلى أدب الخيال العلمي والتنبؤ بما سيحدث في المستقبل.

حيث يقوم هذا الجهاز بالتسجيل لتلك الذاكرة، وهذا الأمر غريبٌ وليس مألوفاً في الوقت الراهن وقد بدأ الكاتب به لسببين: الأول إعلام المتلقي أنَّ هذه الرواية ليست رواية عادية، بل هي رواية تخضع لكل ما يمكن أن نطلق عليه شيئاً غريباً، بالإضافة إلى إنها تقوم على عنصر الدهشة والخيال، والسبب الثاني: أنَّ الكاتب أراد أن يؤكد على جزئية مهمة وهي التفكير وإعمال العقل، حتى إذا كان هذا الشيء غريباً فعلينا أن نطرح أسئلة لهذا الشيء، وحين نتكشف الأسرار من ذلك الجهاز يصبح الأمر غير مألوفٍ، وعلى غير ما كنا مدركين وهنا تكمن بعض الغرابة مما يحدث أو سيحدث في المستقبل.

ثم تحدث في الأحداث اللاحقة من رويته عن الحرية الشخصية التي تتنافى مع هذا الجهاز الذي يستطيع أن يستخرج كل صغيرة وكبيرة مرت في حياتك، وكيف كان يفكر ذلك الشخص في حياته الماضية. الكاتب صبحي فحماوي كان مدركاً لحقيقة وضع عدد من الأزمنة بداخل الرواية، فهو، وإن كان ينادي الإسكندرية في 2050، فهو في الوقت نفسه يحن إلى القديم إلى الإسكندرية عام 1966، وهنا يعمد الكاتب إلى تزوج الأمور بعضها مع بعض، مما يوحي بنوع البعد الزمني المرتبط بالمكان "الزمكانية"، والرواية في الوقت نفسه تمزج بين ما هو حقيقي وما هو خيالي لتبرهن على حقيقة بحث الكاتب عن المستقبل من خلال الماضي أو الحاضر، محاولاً في الوقت نفسه السعي لإيجاد حلٍ لذلك المستقبل، والذي سيصبح غريباً في معظم مناحيه، وهل نستطيع وقتها أن نكون قادرين على مواجهة تلك الحالة من الخيال العلمي أو الابتكار في العلوم المستقبلية.

نلاحظ هنا أنَّ الكاتب يستخدم بعض الكلمات الدالة على الإثارة والباعثة على التفكير في المستقبل، نحو كلمة "انطلاق" وبعدها كلمة: "الأقمار الصناعية" وهل من الممكن أن نستخدم ذلك الانطلاق في نقل الركاب بالطائرات من مكان إلى آخر، كما هو الحال في انطلاق الأقمار الصناعية، ليس ببعيد أن يحدث ذلك في المستقبل القريب وليس هناك ما يمنع في ظل هذا التقدم العلمي الرهيب خاصة في مجال التكنولوجيا. ويتناول الكاتب ما حدث لمنطقة "أبو قير" و"أبو صير" وكيف أنَّ البقاء للأقوى، حيث كان أبو قير أقوى من

”أبوصير“ في محاورته لتمكين القوى ليصبح اسمه موجوداً تأكيداً على استعلاء القوى فلم يعد أحد يتذكر ”أبو صير“ وهو يقصد من ذلك المكان الموجود الآن بالإسكندرية، الذي يتميز بشاطئه العجيب والرائع وكثيرة هي الناس التي تصطف في هذا المكان يقول الكاتب: ”معظمهم يحبون اللعين“ أبوقير“ حتى أنت أيها الفاني هل تكره ”أبوقير“ بالطبع لا فأنت تحبها وتتمنى أن تعود لتنتسم هواءها الشرقي اللطيف الحامل معه رائحة ثمار مزارع الجوافا الشهية، وتغرق تغرق في بحرها الهادئ الجميل“. هذا وصف لأحد الأماكن المهمة في الإسكندرية، حتى يضع القارئ في موقع الحدث المستقبلي، والذي يحاول من خلاله خلق حالة من التشويق لما سيكون عليه ذلك المستقبل، خاصة في ظل التقدم التكنولوجي الرهيب، ونراه كذلك يربط بين حبه لتلك المدينة التاريخية العتيقة الإسكندرية وبين حب أنطونيو لكليوباترا، وهو ما يشي بالتاريخ والارتباط بالقديم، حيث قراءة التاريخ ”أنطونيو مستمتع بحب كليوباترا الخاضعة له وأما أنا فخاضع لغرامك المتحكم في أيتها الإسكندرية، كم سنة مضت وأنا غائب عنك!

بالفعل نجد أن الكاتب لديه حب البحث والتقيب عن الأماكن التاريخية وأيضاً الأشخاص من الأدباء والمفكرين فهو حريص على ذلك، ونراه دائماً متنقلاً من مكان إلى آخر يطوف لبلاد شرقاً وغرباً باحثاً منقياً عن الإبداع في هذا الكون ليربطه بالإبداع في فلسطين، ذلك الوطن الجريح، الإبداع الإلهي بأن جعل الله رسالاته تبدأ من هذه البلاد العربية، وكأن الله سبحانه وتعالى يؤكد لنا أن هذه الأرض والتي امتلأت ظلماً وجوراً من فعل البشر الظالمين ولجاحدين، هي مهبط رسالاته ومن المفترض أن تكون في مقدمة العالم أخلاقياً وعلمياً ودينياً. يبرهن الكاتب على اطلاعه على الثقافات الأخرى، نعم الكاتب قرأ لكتاب كبار وحاول أن يجعل من اسمه نليلاً على حب الأرض والاستعداد الدائم للعودة إلى تلك الأراضي المسلوقة بفعل حكام ظلموا أنفسهم قبل أن يظلموا البشر، يقول عن تطوافه في تلك البلاد الجميلة.

ويظل البطل في تطوافه عبر سنوات عمره التي وصلت المائة؛ لأنه يقر بما حدث له من قبل، من خلال ذلك الجهاز المخابراتي الذي لم يسبق له مثيل، لكن أهم ما هنالك هو أنه لم يجد أفضل من الإسكندرية في بلاد العالم ”تتقلت بين كل هذه العجائب وغيرها، فما وجدت مثلك يا اسكندرية في البلاد، أرجو ألا تؤاخذيني، فأنا ابن المائة سنة من العمر، قد بدأت

أخرف. وهل هذا هو عمر الخرف؟ لا أعتقد فلقد عاشت جدتي أنيسة مائة وعشرين سنة وكانت "ترقط" الفول المحمص بأسنانها". يبرهن الكاتب على وصول سن الشهري إلى مائة عام بأن جدة ذلك الرجل قد وصلت هي الأخرى إلى مائة وعشرين عاماً، وأن هذا السن لا يؤدي إلى وجود الخرف، وكيف أنه تحت ذلك الجهاز يؤكد على تلك الأمور، وهو يشعر بارتياح لاستدعاء الماضي البعيد والقريب، عبر فكرة الزمن. والكاتب يؤكد على نجاح ذلك الجهاز العجيب، في تتبع تلك الأخبار من ذلك الرجل العجوز. والسرد العجائبي هنا هو كما وصفه نوفاليس "سرد من دون تماسك، لكنه سرد يزخر بالتداعيات، مثل الأحلام ومن الغريب أيضاً ما تذكره هذا العجوز أن هناك رياحاً ستهب على الناس وتصيب الكون كله بلون من الأصفر، كانوا يقولون: سيأتي على الناس (زمن أصفر) تهب فيه رياح صفراء، تصيب الكون كله باللون الأصفر، فتصير فيه الشوارع صفراء، والبيوت صفراء، والأشجار صفراء، والوجوه صفراء ويهجم أهل يأجوج ومأجوج صفر اللون". تلك من الغرائب التي يحاول الكاتب التأكيد عليها علماً بأن الرسول حذرنا من هذه الرياح الصفراء، ولكن الكاتب يعبر عن بعض أحوالنا المأساوية التي سنكون عليها في المستقبل إذا ما صرنا على ما نحن فيه. ويحاول أن يبين أن هذا الشخص الذي خضع لذلك الجهاز كان قد سافر إلى ألمانيا ودرس هناك وتعلم وأصبح متميزاً ويسرد لنا موقفاً يعتقد أنه من الغرائب والذي من خلاله يسخر من أحوالنا، فمساعدته هناك في ألمانيا تظل تأكل في طبق الأرز حتى تُنهي آخر حبة فيه، وهو يستغرب الأمر كيف لهذه الدولة الغنية بهذا الشكل وأفرادها يحاولون ألا تبقى حبة أرز في الطبق. حتى لا يفعلون مثلما يفعل بعض الأعراب، بالقائهم الأطعمة في حاويات القمامة. وبعد خمس سنوات من العمل هناك عينوا له مساعدة بحث في علم الوراثة "صرت أذهب معها إلى المطعم، أراقبها وهي تأكل، تلحق بشوكتها وسكينتها آخر حبة أرز تتناولها، وتنظف صحنها. فأقول لها: لماذا تنظفين آخر حبة أرز في الطبق؟ هل كل هذا اقتصاد في النفقة، فتجيب وهي مبتسمة.

لدينا في ألمانيا القدرة على توريد ملايين الأطنان من الطعام، ولكن هناك شعوباً لا يصلها الأرز، ويجب أن لا ترمي الطعام في حاويات القمامة كي تجد الشعوب الأخرى فائضاً" ص34. وكان في سفره إلى ألمانيا يستشعر بأنه أقل منهم في كل شيء وكان يستغرب ما يقومون به ليس على المستوى الإنساني، بل أيضاً على المستوى العلمي فهم

متفوقون علمياً لأنهم سخَّروا طاقاتهم من أجل العلم ورفعة شأنه، فأخذ على عاتقه أن يكون مثلهم، وأن تكون له مكانة علياً في مجتمعاتهم يقول: "بدأت أستغرق في العمل يا أبي. نظراً لشعوري بالغربة وبالتمييز، رحت أولج الليل في النهار في أبحاث متتالية؛ لأثبت لهم أنني مؤهل لمناقشتهم، لا بل والتفوق على الكثيرين من زملائي في المعهد! نتائج أبحاثي المخبرية أدهشت أساتذتي!" ص34. ومهما بلغ من علم هناك ومهما أبهرته تلك الحضارة إلا إنه لم ينس تاريخه أو تراثه العربي، وكانت دائماً حكايات ألف ليلة وليلة أمامه، ولكن التطور التكنولوجي وما به جعله يطمح في المزيد في المستقبل القريب حين يقارن بين القديم والحديث، وتناول موضوع الطائرة الهيدروجينية والارتباط بعالم الانترنت، وهو ما يجعلنا نتذكر الابتكار الحقيقي لعالم الشبكات العنكبوتية "ويعد ظهور شبكة العنكبوت الدولية تصويلاً مكتملاً للكيفية التي يعمل بها الابتكار على الإنترنت وأهمية وجود شبكة محايدة بالنسبة لهذا الابتكار.

وقد توصل توم برنز - لي إلى فكرة شبكة العنكبوت الدولية بعد الانزعاج المتزايد من أن أجهزة الحاسوب في المعمل الأوروبي للفيزياء الانشطارية لم تعد تستطيع التخاطب مع بعضها البعض بسهولة. وهذا الأمر ينعكس على الأدب بصفته الصنو الآخر مع العلم فيترجم الأدب ذلك في التطور وما يمكن أن نسميه الخيال العلمي ويدخل في عالم الغرابة أحياناً إلى أن يثبت العلم صحته، وما يمكن أن يحدث في المستقبل من تطور يبهر العقل كما في هذه الطائرة الهيدروجينية.

تنتهي الرواية بقرار العجوز مشهور بالعودة الى عكا ليقضي آخر أيامه بين قومه.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، مصحف النجدي بربواية ورش عن نافع، دار المعرفة، دمشق، طبعة 1430هـ،
2007م.

أولاً : المصادر:

1. صبحي فحموي ،الإسكندرية 2050 ،دار الهلال ، مصر ، القاهرة، ط2 ، 2009م .
2. طالب عمران ، الأزمان المظلمة ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 2003م.
3. نهاده شريف : قاهر الزمن ، دار الهلال ، مصر ، د.ط ، 1972م.

ثانياً : المراجع بالعربية:

4. باديس يوسف فوغالي : الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2008م.
5. حميد الحمداني : بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط1 ، 1990م.
6. سائر بصره جي : موسوعة أعلام أدب الخيال العلمي (العرب والأجانب) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ط ، د.ت .
7. سيزا قاسم: بناء الرواية (دراسة مقارنة ثلاثية نجيب محفوظ) ، مكتبة الأسرة ، د.ط، 2004م.
8. صلاح صالح : سرد الآخر الأنا والآخر عبر اللغة السردية ، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2003 م
9. عبد الحسن صالح : التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان ، عالم المعرفة ، مصر ، د.ط ، 1978م .
10. عبد الحميد بورايو : منطلق السرد في القصة الجزائرية الحديثة ، ديوان المطبوعات الجزائرية الحديثة ، د.ط، 1994م.
11. عبد الرحمن عبد الهاشمي وآخرون : أدب الأطفال فلسفته أنواعه تدريسه ، دار زهران للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 2009م .
12. عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، سلسلة عالم المعرفة، العدد 204 ، مطابع الرسالة ، الكويت، د.ط ، 1998م .
13. عصام البهي: الخيال العلمي في مسرح توفيق الحكيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ، د.ط ، 1990م.

14. لمياء عيطو ، سرد الخيال العلمي لدى فيصل الأحمر دراسة نقدية ، دار الأوطان للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2013م.
15. محمد عزام : الخيال العلمي في الأدب ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا ، ط1 ، 1994.
16. محمد عبدالله خضر: روائع قرآنية (دراسة في جماليات المكان السردى)، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، د.ط، د.ت .
17. محمود قاسم : الخيال العلمي مصطلحات وأسماء ، المكتبة الأكاديمية ، مصر ، ط1 ، 2009م .
18. مها حسن القصراري : الزمن في الرواية العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1 ، 2004م
19. نهاد شريف : الدور الحيوي لأدب الخيال العلمي في ثقافتنا العلمية ، المكتبة الأكاديمية، سلسلة كراسات مستقبلية ، القاهرة ، ط1 ، 1997م .
20. هيثم الحاج علي ، الزمن النوعي واشكاليات النوع السردى ، مؤسسة الإنتشار العربي ، لبنان ، ط1.

ثالثا - المراجع المترجمة :

21. إسحق أسيموف : الحقيقة والخيال ، تر: محمد جمال الدين الفندي وجابر عبد الحميد جابر ، دار المعارف ، مصر ، د.ط ، 1965م .
22. إم كيث بروكر ، آن ماري توماس : المرجع في روايات الخيال العلمي ، تر: عاطف يوسف محمود ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2010م .
23. جان غاتينيرو : أدب الخيال العلمي ، تر: ميشيل خوري ، دار طلاس ، دمشق ، ط1 ، 1990م .
24. جون جريفيس : ثلاث رؤى للمستقبل الأمريكي والبريطاني والروسي (السوفيياتي)، تر: رؤوف وصفي ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ط1 ، 2005م .
25. جيرار جنيت : خطاب الحكاية (بحث في المنهج) ، تر: محمد عصام ، عبد الجليل الأزدي ، عمر حلى ، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ، ط2 ، 1997م .

26. دليل كمبريدج للخيال العلمي ، تر: أيمن حلمي وآخرون ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط1 ، 2013م .

27. ديفيد سيد : الخيال العلمي مقدمة قصيرة جدا ، تر: نيفين عبد الرؤوف ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، ط1 ، 2016م

28. روبرت سكولز وآخرون : آفاق أدب الخيال العلمي ، تر: حسن حسين شكري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د.ط ، 1996م .

رابعاً: المعاجم :

29. إسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الجزء 5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4 ، 1987م .

30. جمال الدين ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، المجلد 13 ، 1990م .

31. الخليل بن أحمد الفراهيدي : معجم العين ، تحقيق :مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، المجلد 7 ، دار مكتبة الهلال ، د.ط ، د.ت .

32. مجدي وهبة وكامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط2 ، 1984م .

33. مجمع اللغة العربية ، معجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، مصر ، ط4 ، 2005م .

34. مصطفى إبراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، اسطنبول ، تركيا ، د.ط ، د.ت .

خامساً - الرسائل الجامعية :

35. جمالية بورحلة :الخيال العلمي بين العلمية والأدبية ، دراسة وصفية تحليلية في جمالية التداخل بين البعدين العلمي والأدبي ، رسالة ماجستير ، إشراف عبد المالك بومنجل ، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية ، جامعة فرحات عباس ، سطيف ، 2010/2009م .

36. خلود أحمد خضور : فاعلية برنامج حاسوبي قائم على الخيال العلمي في تنمية بعض المفاهيم العلمية لدى أطفال الرياض ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة دمشق ، سوريا ، 2015/2014م .

37. قصي جاسم أحمد الجبوري ، المكان في روايات تحسين كرمياني ، مذكرة لنيل درجة الماجستير ، إشراف الدكتورة : منتهى طه الحراحشة ، جامعة آل البيت ، 2016/2015م.
38. محمد عبد الله الياسين : الخيال العلمي في الأدب العربي الحديث في ضوء الدراسات المقارنة ، رسالة ماجستير ، إشراف : غسان مرتضى ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة البعث ، 2008م.

سادسا - المجالات :

39. بوشعيب الساوري ، الخيال العلمي في الرواية المغربية الانشغالات والخصوصيات ، مجلة النقد الأدبي الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، العدد 71.
40. فيصل الأحمر : حداثا الخطاب في أدب الخيال العلمي ، مجلة الناص ، جامعة جيجل ، د.ت .
41. محسن الرملي : رواية الخيال العلمي خصائصها إشكالياتها وأسئلة المستقبل ، مجلة شؤون ثقافية ، ليبيا ، العدد 31 ، 2010م .
42. محمد أحمد مصطفى ، أدب الخيال العلمي الراهن والمستقبل ، مجلة النقد الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، عدد 71 ، 2007م.
43. محمد فضيل شناوة ، بيداء على حسن محمود البزركان : جمالية نصوص الخيال العلمي المسرحية ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ، المجلد 5 ، العدد 1 ، د.ت .
44. محمود غنيم : في عصر الفضاء ، مجلة الفيصل ، مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية ، العدد 73 ، 1983م .
45. مخلص الرئيس : الأبعاد النفسية لأدب الخيال العلمي ، مجلة الخيال العلمي ، مجلة علمية ثقافية شهرية تصدر عن وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، العدد الخامس عشر ، تشرين الأول 2009م .

سابعا : الملتقيات والرسائل العلمية :

46. إميت جواسوامي ، العلم والخيال يتضافران على استشراف الواقع ، رسالة اليونسكو ، تصدرها منظمة الأمم المتحدة والثقافة ، اليونسكو ، نوفمبر 1984م.
47. لينا الكيلاني : أدب الأطفال والخيال العلمي بين الواقع والطموح ، إجتماع خبراء أدب الخيال العلمي في الوطن العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس 2009.

ثامنا -المواقع الإلكترونية :

48.رجب السيد ، الثقافة الغائبة www.arabworldboom.com

49.محمد عبد الحنان ، الخيال العلمي في الأدب المعاصر

<http://www.aqlamalhind.com>

50.المعرفة m.marefa.org

51. helen.klus . imagining the future _why society science

<http://www.thestargrand.fiction>

فهرس الموضوعات

أ	مقدمة :
6	المدخل : مفاهيم حول مصطلح الخيال العلمي
7	1_ مفهوم الخيال العلمي :
15	أ_ الخيال العلمي الصّعب: (HARD SF)
15	ب _ الخيال العلمي اللين (SOFT SF):
17	الفصل الأول : أدب الخيال العلمي :
19	أولاً_ مفهوم أدب الخيال العلمي :
25	ثانيا : واقع ونشأة الخيال العلمي في الأدب الغربي والعربي :
25	1_ في العالم الغربي :
27	أ_ أدب الخيال العلمي في فرنسا (أعمال جول فيرن أنموذجا):
31	ب_ أدب الخيال العلمي في بريطانيا:
34	ج_ مختصر الدول الغربية:
38	2_ في العالم العربي :
42	أ_ في مصر:
45	ب_ في سوريا:
47	ج _ مختصر الدول العربية :
48	ثالثا : خصائص وموضوعات أدب الخيال العلمي
48	1 _ الخصائص :
48	أ_ طبيعة الموضوع :

49	ب_ البيئة الزمكانية:
51	ج/ الشخصيات
51	د_ اللغة:
52	هـ_ التقية:
53	2_ مواضيع أدب الخيال العلمي:
53	أ_ رحلات إلى الفضاء:
56	ب_ السفر عبر الزمن :
	الفصل الثاني: دراسة تطبيقية في رواية الخيال العلم (الإسكندرية 2050)
60	أولا- تجليات الزمن في رواية الخيال العلمي (الإسكندرية 2050)
60	1- مفهوم الزمن:
62	2- المنحنى الزمني الرئيسي في رواية الإسكندرية 2050:
65	3- المفارقات الزمنية في رواية الخيال العلمي :
66	1- /الاسترجاع
66	أ- /الاسترجاع الخارجي
66	ب - /الاسترجاع الداخلي
72	2 - / الاستباق
72	أ- استباق داخلي
72	ب- / استباق خارجي
79	ثانيا- تجليات المكان في رواية الخيال العلمي (الإسكندرية 2050).

79	1- مفهوم المكان :
81	2- الفضاء المكاني في رواية الخيال العلمي الإسكندرية 2050:
82	أ- الأمكنة المفتوحة والمغلقة :
82	1- الأمكنة المفتوحة
88	2_ الأمكنة المغلقة
90	3- فضاءات الخيال العلمي في الرواية :
98	ثالثا - بنية الشخصيات الروائية في رواية الخيال العلمي .
98	1- مفهوم الشخصية الروائية (لغة واصطلاحا) :
99	2- شخصيات الخيال العلمي في الرواية الإسكندرية 2050:
103	3- الأبعاد الخارجية لشخصيات الخيال العلمي:
105	4- الأبعاد الداخلية لشخصيات الخيال العلمي:
109	خاتمة:
114	ملاحق:
115	الملحق الأول: السيرة الذاتية للكاتب :
117	الملحق الثاني : ملخص الرواية
122	قائمة المصادر والمراجع:
128	فهرس الموضوعات:

تهدف هاته الدراسة إلى إزاحة الغموض حول مصطلح الخيال العلمي الأدبي ، هذا الجنس الذي يكاد أن يكون منعدماً في العالم العربي بالمقارنة مع تلك الإنجازات الأدبية التي تشهدها الساحة الغربية منذ أن تجلّى هذا الفرع الأدبي كجنس مستقل بذاته بعيداً عن تلك الأعمال المرتبطة بالأدب الرائع أو الأدب الخيالي ، ويرجع الباحثون إن هذا الفرع الأدبي قد ظهر نتيجةً لتلك التطورات العلمية والتقنية التي ارتبطت بظهور الثورة الصناعية في أوروبا ، أما في العالم العربي فلم يظهر هذا الفرع كجنس مستقل بذاته له اسمه الخاص وأساليبه الفنية المعترف بها إلا بعد عصر النهضة الأدبية وذلك على يد مجموعة من الكتاب من بينهم مصطفى محمود في روايته بالعنكبوت والتي تعد من أولى البوادر التي تكتب في هذا المجال لتتوالى بعده مجموعة من القصص والروايات العلمية والكتابات المسرحية كذلك إذ وجد بعض الكتاب في هذا الفرع ضالتهم ومقصدهم لتقديم رؤية مرتبطة بتقديم علمي وتقني أو تحذير من عواقب قد تظهر من بعض التصرفات الخاطئة التي نقوم بها ، خاصة وأن الخيال العلمي يعتبر من أكثر الأجناس الأدبية الخاضعة لأهواء الكتاب الذين جربوا الكتابة فيه. إنّه الجنس الوحيد الذي يثير الكثير من التساؤلات ويجعل النقاد يتخبطون في الشك والغموض. ويعود ذلك إلى عدم توصل الدارسين إلى تعريف واضح ودقيق لمفهوم الخيال العلمي ، وهذا ما لمسناه من خلال بحثنا عن تعريف الخيال العلمي ، وهنا لاحظنا أن التعريفات المرتبطة بهذا الجنس غالباً ما تأتي نتيجة لمحاولات تعريف متعدّدة ومتواصلة حسب أغراض القراء والكتاب وقناعاتهم وثقافتهم.

ومثل العديد من الفروع الأدبية ، فإن الخيال العلمي معرف بتنوع مواضيعه التي تندرج غالباً ضمن مستويين خيال علمي صعب وخيال علمي لين يركز الأول على العلوم الدقيقة والثاني على العلوم الاجتماعية. ومن بين المواضيع التي يعالجها هي التحذير من مخاطر العلم والتكنولوجيا وكذلك البحث عن عوالم مستقبلية ، وخط سير هاته المواضيع (من الواقع نحو المستقبل) ، وهو ما نجده في الرواية التي قمنا بدراستها لمعرفة أهم الخصائص الفنية المرتبطة بالبنية السردية في كتابات الخيال العلمي ، وهي الرواية المعنونة ب الإسكندرية 2050 للكاتب صبحي فحماوي وتعتبر هاته من أهم الإضافات الجديدة إلى مكتبة هذا الأدب الذي يعرف ندرة في أدبنا العربي المعاصر.

وتجد الكتابات والأدبية في الخيال العلمي مجالا تمارس فيه حركيتها ونزوعها إلى تحديث مكوناتها وخصائصها الفنية والموضوعية بطريقة لافتة عن المجالات الكتابية الأخرى فغالبا ما تحتوي أعمال الخيال العلمي على جرعة كبيرة من التشويق والإثارة وهذا ما يفسر إقبال العديد من القراء على هذا الجنس الأدبي الجديد في الساحة العربية .

Summary :

This study aims to remove the ambiguity around the term literary science fiction, this genre that is almost non-existent in the Arab world in comparison with those literary achievements that the Western arena is witnessing since this literary branch has manifested itself as an independent genre in its own right away from those works associated with wonderful literature or fictional literature. And the researchers attribute that this literary branch emerged as a result of those scientific and technical developments that were associated with the emergence of the industrial revolution in Europe, but in the Arab world, this branch did not appear as an independent race with its own name and its recognized artistic methods until after the literary renaissance by a group of books, including Mustafa Mahmoud in his novel, *The Spider* which is one of the first signs written in this field, after which a group of stories, scientific novels and theatrical writings follow after it. Some writers in this branch have found their goal and aim to present a vision related to scientific and technical progress or a warning of consequences that may arise from some of the wrong actions that we do especially since science fiction is one of the literary genres that are more subject to the whims of writers who have tried writing in it. It is the only gender that raises so many questions and causes critics to wallow in doubt and ambiguity. This is due to the failure of scholars to reach a clear and accurate definition of the concept of science fiction. This is what we saw through our search for the definition of science fiction, and here we noticed that the definitions related to this gender often come as a result of multiple and continuous attempts to define according to the purposes of the readers and writers and their convictions and cultures.

Like many literary branches, science fiction is defined by the diversity of its subjects that often fall within two levels of hard science fiction and soft science fiction, the first focusing on the exact sciences and the second on the social sciences. Among the topics he deals with are warning about the dangers of science and technology as well as searching for future worlds, and the course of these topics (from reality to the future), which we find in the novel that we studied to find out the most important technical characteristics related to the narrative structure in science fiction writings, which is the novel *Entitled Alexandria 2050* by Sobhi Fahmawi, and these are considered among the most important new additions to the library of this literature, which is known to be scarce in our contemporary Arabic literature.

Writings and literary writings in science fiction is a field in which a mark is practiced indicating that its technical and objective components and characteristics are noticeably different from other fields, as science fiction works often contain it and has a great amount of suspense and excitement.

الحمد لله